Tel: 372336-323864 MAJALLAH Regd. No. LW/NP 59

AL - BAAS - EL- ISLAMI

Sep. - 1999 (MONTHLY)

صدرت طبعة جديدة مزيدة منقحة لكتاب :

ظفر الأماني
في
مختصر الجرجاني

للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحيّ اللكهنوي
١٢٦٤-١٣٠٤هـ

حققه وخرج نصوصه وعلق عليه
الدكتور تقي الدين الندوي

وقدم له :
سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

يطلب الكتاب من
المكتبة الإمدادية ، باب العمرة ، مكة المكرمة
المملكة العربية السعودية

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ
من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

البعث الإسلامي

شعارنا الدين كله من الإسلام من

مجلة إسلامية شهرية جامعة

في هذا العدد

أربعة شروط للدين العالمي الخالد
حركة العلمنة في العالم الإسلامي
فضل الصلاة وآثارها
الولاء للإسلام ، هو الطريق إلى الأمن والسلام
القضايا المعاصرة في تعليم المرأة
المصلحة بين الإفراط والتفريط
السلطان "تيبو" الشهيد ، حياته ومآثره
التلاعب بقوانين الطبيعة في المخلوقات
شخصيات فقدناها :
رحيل اللواء الركن الحاج محمد شيت خطاب إلى دار الخلود
الحكيم عبد الحميد الدهلوي
رحيل فضيلة الشيخ محمد معين الندوي
إلى رحمة الله تعالى :
فضيلة الشيخ مناع القطان
فضيلة الشيخ عطية محمد سالم

رجب ١٤٢٠هـ
أكتوبر ١٩٩٩م

العدد العاشر
المجلد الرابع والأربعون

تصدرها :
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص.ب. ٩٣ لكناؤ (الهند)

٨١٩٣
١٤٢١/٤/٣

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد الرابع
والأربعون

العدد العاشر
رجب ١٤٢٠هـ
أكتوبر ١٩٩٩م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته ونسق رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة من التعلم والتفقه ، وهي الإنذار ،

﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات

البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧(الهند)
☆☆☆

المراسلات

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
☆☆☆

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" التي تجتاز الآن عامها الرابع والأربعين ، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا .

والله من وراء القصد و هو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية
ثمن النسخة : ١٥/روبية

في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٠/دولاراً بالبريد السطحي
و
٣٦/دولاراً بالبريد الجوي
☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)
☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)
☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

الافتتاحية :

☆ الولاء للإسلام ، هو الطريق إلى الأمن والسلام ! — سعيد الأعظمي الندوي ٣

التوجيه الإسلامي :

☆ أربعة شروط للدين العالمي الخالد — سماحة العلامة الشيخ السيد ابي الحسن علي الحسني الندوي ٧
☆ حركة العلمنة في العالم الإسلامي للأستاذ أسرار عالم — ترجمة : الأستاذ غطريف شهباز الندوي ١٧

الدعوة الإسلامية والقرآنية :

☆ علوم القرآن الكريم — فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني ٢٢
☆ فضل الصلاة وآثارها — بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد ٣٠

الفقه الإسلامي :

☆ المصلحة بين الافراط والتفريط — الأستاذ عتيق أحمد القاسمي ٣٥
☆ القضايا المعاصرة في تعليم المرأة — الأستاذ محمد صادق حسين ٤٦

من أعلام التاريخ :

☆ جهود الإمام ولي الله الدهلوي في توحيد صفوف المسلمين — د/خليل عبد الرحمن راز ٦١
☆ السلطان "تيبو" الشهيد ، حياته ومآثره — الأخ الأستاذ فيصل أحمد البهتكلي الندوي ٧٠

دراسات علمية ونفسية :

☆ التلاعب بقوانين الطبيعة في المخلوقات للحصول على لحوم اصطناعية خطرة — الدكتور إبراهيم الراوي ٨١

شخصيات فقدناها :

☆ رحيل اللواء الركن الحاج محمود شيت خطّاب إلى دار الخلود — العميد الركن منير فهمي الجراح ٨٤
☆ الحكيم عبد الحميد الدهلوي ، منشئ مؤسسة "همدرد" ومساهمتها — الأستاذ قمر الحسن ٨٦
☆ رحيل فضيلة الشيخ محمد معين الندوي إلى دار البقاء والخلود — قلم التحرير (س.أ.) ٩٥

إلى رحمة الله تعالى :

☆ فضيلة الشيخ مناع القطان في ذمة الله تعالى — قلم التحرير ٩٧
☆ فضيلة الشيخ عطية محمد سالم في ذمة الله تعالى — " " ٩٨
☆ الشيخ إنعام الله اللكنوي إلى رحمة الله تعالى — " " ٩٩
☆ السيدة حرم الشيخ محمد الثاني في ذمة الله تعالى — " " ١٠٠

☆☆☆

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الولاء للإسلام ، هو الطريق إلى الأمن والسلام !

إن تحليلاً واقعياً للأحداث والفجائع التي تفاجئ الأقطار والبلدان التي تنتمي إلى المسلمين ، وتدعي باسمهم ، سواء في الشرق أو الغرب ، يؤدي إلى نتائج إيجابية ، وإيمانية ، ويُثبت أن ما حدث فيها من المآسي ، وما سبب من خسائر الأموال والأرواح ، لم يكن صدفة من مصادفات الزمان ، أو سانحة من سوانح الأيام - إنما كان ذلك ثمرة من ثمار تلك الجرأة الوقحة التي تذاع على مرأي العالم ومسمعه حول الاستهزاء بشريعة الله التي أنزلها الله سبحانه لمصالح العباد والبلاد ، ولم يجعل لها عوجاً ، والسخرية من دين الإسلام الذي أكمله لعباده ، وكتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

في "تركيا" التي هي بلد المسلمين العريق ، وكانت قاعدة الخلافة العثمانية التي أثّرت في مجرى الأحداث العالمية ، وكان لها تاريخ مشرق ملأ سمع الزمان وبصره إلى مدة طويلة ، وبعث الرعب في قلوب أهل "أوربا" ، إن هذا البلد الذي كان يتمتع بالعراقة والأصالة في الإسلام ، وتمثلت فيه الحضارة الإسلامية بأروع معانيها ، سيطر عليه رجال من العلمانيين والملحدين منذ فترة ماضية ، وتملكوا زمام الحكم بطرد الإسلاميين والفئات المؤمنة من سدة الحكم والسياسة ، و وضع الحد على نشاطهم السياسي ، وقد تجاوز الأمر بعد ذلك إلى قطع صلة الشريعة الإسلامية

عن الحياة ، وسد جميع المنافذ التي تتسلل منها تعاليم الإسلام إلى حياة المسلمين ، ومجتمعاتهم ، وإغلاق المدارس والمؤسسات الإسلامية ، وتحديد منافع المساجد وعطائها ، وبالتالي زجّ الإسلاميين في السجون ، وإجراء محاكمات عليهم ، مما غيّر وضع البلاد ، وضيّق على المسلمين الخناق ، وحوّل البلاد إلى مسرح كبير للفجور والفسوق ، والعبث بشريعة الله ، وارتكاب المعاصي علناً وجهاراً ، وقد شهد العالم أخيراً تلك الغارة التي شنت على الحجاب الإسلامي ، وكيف أُجبرت المرأة المسلمة على خلعه ، ولكنها صمدت وأبت إلا أن تلبس الحجاب .

هذا ! وما تم عدا ذلك من المخططات السرية ضد الإسلام وأهله في هذا البلد بمساندة من الخبراء اليهود ، ومناوئي "الإسلامية" التي كادت تكون طابع البلاد العام ولونها المتميز ، فتخوف الغرب مما إذا أصبحت "تركيا" منطلق الدعوة الإسلامية من جديد ، وأعادت تاريخها السابق في ميدان القيادة العالمية ، والريادة العسكرية ، كان هذا الخوف يساور نفوس أهل الغرب ، ويقض مضاجعهم أحلام مزعجة ، ومن ثم مهدوا الطريق نحو قلب الأوضاع ، وتغيير سياسة البلاد رأساً على عقب ، وفتحت الأبواب على مصاريعها للإباحية ، والخلاعة ، والاستهزاء بشريعة الله ، وتحليل ما حرم الله ، و وضع الحصار حول الإسلاميين من القادة والجماهير ، كل ذلك تنفيذاً للمخططات المستوردة من الجهات الخارجية التي تملي إرادتها على من بيدهم زمام هذه البلادَ .

من خلال هذا المنظار إذا رأينا إلى الكوارث والنوازل التي تفاجئ البلدان والأقطار والمناطق التي تنتمي إلى المسلمين ، وتسكنها غالبية مسلمة ، تبيّن بكل وضوح أن الأمور إن تجاوزت الحدود الطبعية ، وتدخّل العقل البشري في الشئون التكوينية ، ظهرت آثار ذلك في أشكال شتى من العقاب السماوي الذي يخرج عن دائرة التعليلات العقلية ،

ويأتي بعواقب وخيمة لا تقاس بالمقاييس العقلية المادية ، لقد كان الإسلام من أعظم نعم الله التي لا تعادلها نعمة ، قد أتمها الله سبحانه على الناس ، وأنزل معه شريعته كنظام كامل شامل يغطي الحياة والكون والإنسان من جميع النواحي وكحضارة إنسانية دائمة لا تتغير ولا تحور ، ولا يحتاج مع ذلك أيّ مجتمع بشري في أيّ بقعة من الأرض إلى نظام أو فلسفة اجتماعية أو حضارة إنسانية أخرى ، ولقد جرب الإنسان هذا النظام السماوي ، وعاش في ظله في أمن ودعة وطمأنينة ، ولكنه لما كفر بهذه النعمة وازدراها وانخدع ببريق الحضارات المادية ولمعان سرابها ، أخذه الله بالذل والنكبات والخوف والفقر والمرض ، ذلك ما يصوره كتاب الله العظيم ، ومثله بأبلغ ما يكون .

﴿ ضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً * يأتيها رزقها رغداً من كل مكان * فكفرت بأنعم الله * فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [سورة النحل ، الآية/١١٢] .

لقد كانت "تركيا" من أجمل بلاد الله ، وأحسنها بمواقعها الاستراتيجية تحت قيادة آل عثمان الذين كانوا يحكمون ثلاث قارات في آن واحدٍ : أوربا ، آسيا ، وإفريقيا ، وكانت عندهم من القوة البرية والبحرية ما لا قبل بها لأوربا التي كانت ترتجف خوفاً من الإمبراطورية العثمانية التي كانت تشمل أكبر رقعة من أراضي الشرق والغرب معاً ، وكانت للأسطول العثماني العظيم هيبة تخلع قلوب أهل أوربا ، كما أن القيادة العالمية يومئذ كانت بأيدي الملوك العثمانيين ، وكانت العاصمة التركية "القسطنطينية" تصل بين أوربا وآسيا ، حتى قال عنها نابليون : "لو كانت الدنيا دولة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح مدينة لكي تكون عاصمة لها" .

أما "تركيا" اليوم فهي بالرغم من كثرة سكانها المسلمين ، وتاريخها المشرق الجميل وزخرها بالآثار الإسلامية ، واتجاه الجماهير إلى "الإسلامية" وإقبال الناس على تحكيم الشريعة ، قد انحرفت بها

السياسات المعادية عن جادة الحق ، وظهرت كأنها لا صلة لها بالإسلام البتة ، وبرزت كعدو محارب ضد الإسلام ، يبذل المحاولات والإمكانيات كلها لاقتلاع جذور الحضارة الإسلامية فيها .

وما دامت القيادة الحاضرة فيها ، محاربة شريعة الله تعالى ، وساخرة من الحضارة الإسلامية ، وعابثة بتاريخها الإسلامي الطويل ، لا يُرجى منها أن توفر لأهل هذه البلاد ، أمناً ورخاءً وسعادة وطمأنينة ، وإنما تجر عليهم شقاء ونكبات وذلة وهواناً ، كما قد ضرب الله سبحانه مثلاً لقرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فلما كفرت بأنعم الله أذاقها الله تعالى لباس الجوع والخوف ، ومن ثم يجب أن نعتبر بهذا الزلزال الذي أصاب العاصمة والمناطق العديدة ودكّ كثيراً من المباني والمنشآت في طرفة عين ، مما أودى بحياة آلاف مؤلفة من سكانها ، وسبب خسائر كبيرة فادحة للأرواح والأموال ، وفور ذلك عمّ الخوف والذعر وساد قلوب الجميع حيث إنهم تركوا المنازل والبيوت ، وانتقلوا إلى الحدائق والميادين خوفاً من هزة ثانية ، وزلزال يتعاود ، فتخرّ عليهم السقوف – لا قدر الله – .

أليس هذا عقاباً من الله سبحانه حلّ على هذا البلد الآمن المطمئن كغضب من الله ، وذلك أمر خطير يُنذر بشر مستطير ، لو لا أن المتطرفين والمعادين لدين الله وشريعته ، تراجعوا عن مجاهرة العداوة ، واختاروا الدرب الطبيعي لسياسة البلاد والعباد .

وكذلك كل بلد ، أو إقليم ، يُمارس فيه الظلم والبغي والعدوان، ويجاهر فيه بالمعاصي والمحادّة لله ولرسوله ، فإنه يتعرض بحكم الطبيعة للعقاب السماوي بأي شكل كان ، والتاريخ الإنساني يزخر بمثل هذه الحكايات الصادقة ذات العبر والدروس ، والإنسان مهما طغى وبغى وجال وصال ، ولكنه يبلغ من العجز بحيث لا يملك دقات قلبه وإحصاء أنفاسه .

﴿ كلا ! إن الإنسان ليَطغى * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرُجعى ﴾

﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

أربعة شروط للدين العالمي الخالد

الذي يحمل لواء الإصلاح البشري

(٤/الأخيرة)

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء العام

☆ جولة عمر ﷺ الرسمية ورحلته إلى الشام :

والآن نقدم مثالاً لزهد عمر ﷺ وتقشفه فيما كان يحتاج فيه إلى المظاهر الملوكية والفخفخة ، لابد أن القراء اطلعوا على تقارير جولات رسمية لكثير من ملوك ورؤساء للحكومات والجمهوريات ، ويكونوا قد شاهدوا مشاهد الشوكة والأبهة للجولات التي يقوم بها أكبر حاكم وأعظم خليفة في القرن السابع الميلادي ، وهو الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي ركب إلى الشام بمناسبة فتح بيت المقدس في عام ١٦هـ ، ونترك المؤرخ يحكي هذه الرحلة العجيبة ويصورها بقلمه البليغ :

لعل القارئ الكريم يتطلع إلى معرفة تفاصيل الجولة التي قام بها عمر الخليفة ﷺ نحو الشام ، وقد كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى العدو القوي الذي كان ينتظر أن يرى خليفة الإسلام الذي بعث المهابة في قلوب الناس ، ولكن الخليفة خرج في هذه الرحلة دون أن يحمل معه خيمة متواضعة فضلاً عن خدم وحشم وأبهة وشوكة و وفد مرافق من كبار المسئولين والضباط ، إنما ركب على فرس متواضع ومعه رجال من المهاجرين والأنصار ، غير أن نبأ خروج عمر ﷺ نحو الشام ، كان يملأ القلوب رعباً وهيبةً" .

نزل بالجابية حيث قضى وقتاً لا بأس به ، وكتب كتاب الأمن والصلح ، ثم سار إلى بيت المقدس و قد توجى فرسه الذي كان راكباً عليه فأتوه ببرذون ، فركبه فجعل يهملج به فنزل عنه وضرب وجهه ، وقال: لاعلم الله

من علمك هذا من الخيلاء ، ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده ، وسار مشياً على الأقدام ، ولما اقترب إلى بيت المقدس جاءه أبو عبيدة وقادة الجيش ليستقبلوه ، ولقد كان قميص عمر من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه وهو خليفة المسلمين ، ففكر الناس فيما إذا رآه النصارى في مثل هذه الحال لم يقيموا له وزناً كبيراً ، فقالوا له : لو لبست شيئاً غير هذا وركبت برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم ، فقال : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فلا نطلب بغير الله بديلاً (١) .

وهذا ما رواه ابن كثير عن هذه الرحلة ، يقول :

"قدم عمر بن الخطاب ﷺ الجابية على طريق إيليا على جمل أورق ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوه ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب ، وطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف ، هو وطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل ، حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفاً ، هي حقيبته إذا ركب ، و وسادته إذا نزل ، وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه ، فقال : أدعوا لي رأس القوم فدعوا له الجلومس ، فقال : اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروا لي ثوباً أو قميصاً : فأتى بقميص كتان ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : كتان ، قال : وما الكتان ؟ فأخبروه ، فنزع قميصه فغسل ورقع وأتى به ، فنزع قميصهم ولبس قميصه ، فقال له الجلومس : أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل ، فلو لبست شيئاً غير هذا ، وركبت برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم ، فقال : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فلا نطلب بغير الله بديلاً، فأتى ببرذون ، فطرح عليه قطيفته بلا سرج ولا رحل فركبه بها ، فقال : احبسوا ، احبسوا ، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا ، فأتى بجمله فركبه (٢) .

---

(١) الفاروق -للعلامة شبلي النعماني : ج/١ ، ص/١٤٢-١٤٥ ، طبع مطبعة المعارف ، أعظم كره عام ١٩٥٦م .

(٢) البداية والنهاية : ج/٧ ، ص/٥٩-٦٠ .

و نبذة عن رحلته الثانية إلى الشام في عام ١٨هـ ، و قد رواها الطبري ، قال : "خرج عمر وخلف علياً على المدينة ، وخرج معه بالصحابة رضي الله عنهم ، وأغذوا بالسير واتخذ ابلة (على ساحل البحر الأحمر) طريقاً ، حتى إذا دنا منها تنحى عن الطريق ، وأتبعه غلامه ، فنزل فبال ، ثم عاد فركب بعير غلامه ، وعلى رحله فرو مقلوب ، وأعطى غلامه مركبه ، فلما تلقاه أوائل الناس ، قالوا : أين أمير المؤمنين ؟ قال : أمامكم (يعني نفسه) فذهبوا إلى أمامهم ، فجاوزوه ، حتى انتهى هو إلى إبلة ، فنزلها ، وقيل للمتلقين ، قد دخل أمير المؤمنين إبلة ونزلها ، فرجعوا إليه" (١) .

☆ تعاون علي ﷺ مع الخلفاء الثلاثة :

لقد تعاون علي ﷺ مع الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم ، ولا سيما الشيخين منهم ، فقد أشار عليهم بصواب الرأي في أحرج المناسبات ، فاعترفوا بعلمه الغزير وفهمه الدقيق ، وإصابته في الرأي ، وأثنوا عليه بذلك ثناءاً بالغاً ، إن الانطباعات التي أبداها علي على وفاة أبي بكر الصديق ، وعلى شهادة عمر ، إنما تدل على علاقته المخلصة معهم ، ونستطيع أن نطلع على الخطبتين اللتين ألقاهما في هاتين المناسبتين في كتب التاريخ ، يتجلى فيهما أسلوبه البليغ وخصائصه البيانية واللغوية والبلاغية بكل وضوح ، ولا نذكرهما هنا خوفاً من الإطالة (٢) .

وقد جاء فيما كتبه أمير علي : "وافق على خلافة أبي بكر بعد وفاة الرسول الحبيب ﷺ ، علي بن أبي طالب وأعضاء أسرة الرسول الكريم ﷺ برحابة صدر" (٣) .

---

(١) الطبري : ج/٤ ، ص/٢٠٣-٢٠٤ .

(٢) راجع : "الرياض النضرة في فضائل العشرة" -لمؤلفه محب الدين الطبري [م ٦٩٤هـ] ضمن المخطوطات في مكتبة ندوة العلماء ، رقم المخطوطة/١٧٨٤ ، الورق/١٢٦-١٢٧ ، ١٨٧، ١٨٨ ، والطبقات الكبرى -لابن سعد : ج/٣ ، ص/٢٧٠ ، طبع دار صادر ، بيروت .

(3) A Short History of the Saracens, op. cit. p.21.

أما وليم ميور ، فإنه على رغم ما تحدث به عن سوء تفاهم بين أبي بكر وعمر حول تركة الرسول الشخصية ، أكد مع ذلك زيارة علي لأبي بكر وحضوره لديه ، كما كان يحضر عنده الصحابة الآخرون مع قيامه بواجب القضاء الأعلى .

واعترف وليم ميور أيضاً بأن علياً هو الذي كان يرد على رسائل أبي بكر بوجه عام" (١) .

وكذلك تحدث الأستاذ عسكري جعفري في ترجمته الإنجليزية لكتاب : "نهج البلاغة" التي نشرتها الجمعية الإسلامية العالمية للشيعة ، أن عمر كان يستشير علياً ، ويقبل آراءه ، وحينما استشاره عمر بمناسبة الحرب ضد الإمبراطورية الرومية ، أشار عليه ببقائه هناك وإرسال ضابط محنك آخر لقيادة الجيش ، وكذلك خالف علي أن يتجه عمر إلى ميدان القتال بمناسبة معركة حاسمة ضد القوات الفارسية ، ونهاه عن ذلك (٢) ، ولكي نجد تصديقاً لهذا الجانب المهم نستطيع أن نراجع : "نهج البلاغة" في خطبتي علي ﷺ ، رقم/١٣٧-١٤٩ (٣) .

ولما حاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس ، فقال : أفيكم علي ؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم سعد ؟ قالوا : لا ، فسكت ، ثم قال : ألا أحد يبلغ علياً به فيسقينا ماءاً ، فبلغ ذلك علياً ، فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماءاً ، فما كادت تصل إليه ، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه ، وبلغ علياً أن عثمان يراد قتله ، فقال للحسن والحسين : إذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه (٤) .

---

(1) Annas of the Early Caliphate, op. cit. p.123.

(2) Peak of Eloquence, Bombay-1979, p.57.

(٣) أيضاً : ص/٥٧ ، أيضاً : ص/٢٦٠-٢٧٠ .

(٤-٥) انظر : تاريخ الخلفاء -للسيوطي "ترجمة عثمان ﷺ" : ص/١٥٩-١٦٠ ، وكتب التاريخ الأخرى .

ولما حاصر الناس بيت عثمان بعث علي الحسن ومولاه قنبراً ، وأمرهما بمنع الناس عن الدخول على عثمان ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه ، وشج قنبر مولى علي ولم يتمكن الناس من الدخول على عثمان من ذلك الباب الذي كان عليه الحسن ، وتسوروا عليه الجدار من خلفه ودخلوا عليه ، وقتلوه وهو يتلو القرآن" (١) .

☆ العلاقة المتبادلة بين أهل البيت والصحابة الكرام رضي الله عنهم :

لقد وصف القرآن الكريم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فقال : ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ويؤيد هذا النص القرآني حياتهم وعلاقاتهم المتبادلة ومعاملاتهم الأخوية وتحابيهم وإكرامهم بعضهم لبعض ، ورعايتهم ، وأداء حقوقهم ، وقد صدق أمير علي حينما قال : "إن تصلب صحابة الرسول الكريم ﷺ في الدين نفسه لأكبر دليل على صدق الرسول الكريم ﷺ وإخلاصه للهدف الذي بعث من أجله" (٢) .

وكل ما رواه أو يروى الناس عنهم خلاف هذه الشهادة القرآنية ، فإنما يرادف ذلك تكذيب القرآن ، وتغليط التاريخ ، وسوء الظن والتشكيك في تربية النبي الكريم ﷺ ، وننقل هنا بعض الوقائع والأحداث التي تتصل بهم :

جاء فيما رواه البخاري عن عقبة بن الحارث ﷺ ، قال : "صلى أبو بكر العصر ، ثم خرج يمشي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه ، وقال بأبي ، شبيه بالنبي الكريم ﷺ لا شبيه بعلي ، وعلي يضحك" (٣) .

و قد جاء فيما رواه الحسين بن علي ﷺ ، قال : "إن عمر قال لي ذات يوم : أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا ؟ فجئت يوماً وهو خال معاوية ، وابن عمر بالباب لم يؤذن له ، فرجعت فلقيني بعد فقال : يا بني لم أرك أتيتنا ؟ قلت :

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء -للسيوطي ، ترجمة عثمان ﷺ : ص/١٥٩-١٦٠ ، وكتب التاريخ الأخرى .

(2) Amir Ali, The Spirit of Islam, London-1922, p.22.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي الكريم ﷺ : ج/١ ، ص/٥٠١ ، طبع الهند .

جئت وأنت خال بمعاوية ، فرأيت ابن عمر رجع فرجعت ، فقال : أنت أحق بالأذن من عبد الله بن عمر ، إنما أنبت في رؤسنا ما ترى ، الله ، ثم أنتم ، و وضع يده على رأسه" (١) .

وروى ابن سعد عن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين ، قال قدم على عمر حلل من اليمن ، فكسا الناس ، فراحوا في الحلل ، وهو بين القبر والمنبر جالس ، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له ، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس ، وليس عليهما من تلك الحلل شئ ، وعمر قاطب صاربين عينيه ، ثم قال : والله ما هنأ لي ما كسوتكم ، قالوا : يا أمير المؤمنين ! كسوت رعيتك فأحسنت ، قال : من أجل الغلامين يتخطيان الناس ، وليس عليهما منها شئ كبرت عنهما وصغرا عنها ، ثم كتب إلى اليمن أن أبعث بحلتين لحسن وحسين وعجّل ، فبعث إليه بحلتين فكساهما" (٢) .

وعن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعد ما فتح الله عليه ، جمع ناساً من أصحاب النبي الكريم ﷺ ، فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ ابدأ بنفسك ، فقال : لا والله ، فبدأ بالأقرب من رسول الله ﷺ ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ ، وفرض للعباس ، ثم لعلي ، حتى والى بين خمس قبائل حتى انتهى إلى بني عدى بن كعب .

فكتب من شهد بدراً من بني هاشم ، ثم من شهد بدراً من بني أمية بن عبد شمس ، ثم الأقرب فالأقرب ففرض الأعطيات لهم ، وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله ﷺ (٣) .

يقول العلامة شبلي النعماني في كتابه : "الفاروق" حول عنوان : "رعاية الحقوق والآداب بين الآل والأصحاب :

---

(١) كنز العمال : ج/٧ ، ص/١٠٥ ، الإصابة : ج/١ ، ص/١٣٣ بسند صحيح .

(٢) أيضاً : ص/١٠٦ .

(٣) كتاب الخراج -لأبي يوسف : ص/٢٤-٢٥ .

"إن عمر ﷺ لم يكن يبت برأى في مهمات الأمور قبل أن يستشير علياً ﷺ ، الذي كان يشير عليه بغاية من النصح ودافع من الإخلاص ، وكان قد حاول أن يوليه قيادة الجيش في معركة "نهاوند" إلا أنه لم يوافق عليه ، ولما سافر إلى بيت المقدس استخلفه في جميع شئون الخلافة على المدينة ، وقد تمثل مدى الانسجام والتضامن بينهما حينما زوجه علي ﷺ من السيدة أم كلثوم التي كانت بنت فاطمة رضي الله عنها" (١) .

ولا أدل على الصلة الوطيدة الخالصة التي كانت بين علي ﷺ وعمر ﷺ من تزويجه أم كلثوم معه رغم وجود زوجاته السابقات ، وفي مثل سنه المتقدمة ، وكذلك تسميته لأبنائه الثلاثة بأسماء الخلفاء الذين سبقوه ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان (٢) ، إن ذلك لأوضح مثال للثقة والمودة التي كانا يتبادلانهما ، وكان يمكننا أن نسوق أمثلة أخرى لهذه الصلة القوية ، ولكن نكتفي بما سقناه نظراً إلى الاختصار .

☆ تصوير رائع لعهد الصحابة رضي الله عنهم

بقلم شاعر الهند الكبير ألطاف حسين حالي :

ومن أجل هذه الخصائص فإن هذا المجتمع الإسلامي الأول الذي قام على أساس الصحبة النبوية ، والتربية الإيمانية ، والتعاليم القرآنية ، أصبح طاقة زهر جميلة ، كانت كل زهرة منها وكل ورق سبباً لجمالها وزينتها ، ولقد تحولت قبائل مختلفة ، وأسر متعددة ، ورجال طبقات متباينة ، إلى أسرة جيدة الأسلوب ، متحدة القلوب ، وقد جمعتهم تربية النبي الكريم ﷺ المعجزة ،

---

(١) جاء بحث مستفيض في هذا الزواج ودلائله والنقاش التاريخي والعلمي والكلامي حول هذا الموضوع ، في كتاب الأمير محسن الملك الشهير بـ "آيات بينات" : ج/١ ، ص/١٢٧-١٦٤ ، طبع مرزافور عام ١٨٧٠م .

(٢) العبقريات -لعباس محمود العقاد المصري - عبقرية الإمام : ص/٩٥ ، طبع دار الفتوح - القاهرة .

وتعاليم الإسلام الساحرة على الحب والثقة ، وفي هذه المناسبة لا يسعني إلا أن أنقل قطعة من قصائد الشاعر العظيم ألطاف حسين حالي من ديوانه الشهير الذي يعرف "بمزدوجة حالي" وقد صور فيها مجتمع الصحابة الكرام رضي الله عنهم تصويراً رائعاً حياً ، ومع أن هذه الصورة تنطق بالواقع ، فإنها رائعة خلابة بحيث إنها تحل محلاً أولاً ورفيعاً في المجموعة البشرية الواسعة الضخمة بعد سيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وتاريخهم .

يقول الشاعر العظيم وهو يتحدث عن الخلافة الراشدة وأحوال الصحابة رضي الله عنهم ، ما ترجمته :

"ولما أكرم الله سبحانه أمة الإسلام بنعمة الحق ، وقام الرسول الكريم ﷺ بواجبه خير قيام ، وتمت حجة الله تعالى على العباد ، ولحق الرسول بالرفيق الأعلى ، خلف وراءه أمة ورثت الإسلام ، ويندر نظيرها في العالم كله .

فقد كان هؤلاء الناس كلهم خاضعين لكلمة الإسلام ، ناصرين للمسلمين ، أوفياء لله ورسوله ﷺ ، مواسين للأيتام والأرامل راغبين عن طريق الكفر والباطل ، متفانين في سبيل الحق والضمير منتشين بنشوتهما .

إنهم محوا رسوم الجهل وهدموا أساس الكهانة ، خضعوا رؤوسهم أمام أحكام الدين ، وبذلوا أرواحهم وأموالهم في سبيل الله تعالى بسخاء ، ينصبون أنفسهم جنة في وجه كل مصيبة ، ذلك لأنهم لا يخافون إلا الله .

إذا كان فيما بينهم خلاف في شئ ، فلم يكن مصدره إلا الإخلاص ، وإذا كانوا يتنازعون حول أمر فكان ذلك النزاع أفضل من صلح ومسالمة ، وما ذلك إلا موجة لتلك الحرية الإيمانية التي اخضرت بها حدائق العالم البشرية .

وما كانوا يتكلفون في الطعام والشراب ، ولا كانوا يتوخون الزينة والمندام من وراء اللباس ، ولقد كان القائد والجيش في مستوى واحد ، وكذلك الغني والفقير كلاهما في حالة واحدة ، إن البستاني الكريم كان قد أنشأ حديقة ، وغرس فيها أشجاراً متماثلة ، لقد كان الخليفة حارس الأمة كما يحرس الرعاة قطعان الغنم ، ما كانوا يميزون بين المسلم و الذمي ، و لا كانوا

يقرون بفرق بين الحر والعبد .

وكذلك الصلة بين الأمة والسيدة ، كانت كالصلة بين الأخوات والأمهات والبنات ، تركزت جل مساعيهم على سبيل الحق ، وتوطدت علاقاتهم على مبدأ الحق وحده ، ما كانت تستعر نارهم بنفسها ، وإنما كان زمامهم في قبضة الشريعة فحسب ، فحيثما ألينوا لانوا ، وحينما استنفروا نفروا .

كانوا يراعون الاقتصاد في مكان الاقتصاد ، والسخاء في محل السخاء ، ويتمسكون بمبدأ الاتزان في الحب والعداوة ، فما كانوا يحبون بدون اقتضاء ، ولا يبغضون في غير علة ، فمن خضع للحق خضعوا له ، ومن أعرض عن الحق أعرضوا عنه" (١) .

☆ الدليل على استجابة الفطرة الإنسانية لجهود الإصلاح ، و المفخرة العظيمة للإنسانية :

إن ملامح المجتمع الإسلامي وقامته وصورته التي تتمثل في ضوء الكتاب والسنة والتاريخ الموثوق به ، وفوق ذلك ما يتجلى من طبيعة هذا المجتمع واتجاهاته ، لا تصور أولئك المسلمين ممن تربوا في أحضان النبوة ، وتلقوا توجيهاتهم في مدرسة النبوة والقرآن فحسب ، بل إنها تعطى صورة جميلة رائعة لعدد كبير وجيه من أناس لا يوجد لهم نظير - ولو في عدد قليل ورغم تفاوت قرون وتباين زمان ومكان - في جماعة تساويهم في شئ من المستوى والمثالية ، ويتوافر في ذلك دليل واضح على ما تتمتع به الفطرة الإنسانية من صلاحية لقبول الخير وإمكانيات واسعة لرقيها ونزاهتها وطموحها - حيث يصعب أن يتصورها الذكاء الإنساني - وعلى المجهودات المخلصة الزكية التي بذلها الرجال المخلصون المصلحون والمؤيدون من الله تعالى ، ونجاحهم وتأثيراتهم الباقية ، ويحق للإنسانية أن تفتخر من أجلها بنفسها ، وللإنسان

---

(١) مد الإسلام وجزره "مسدس حالي" : ص/٣٧-٣٨ ، طبع مطبعة راجا رام كمار لكناؤ (الهند) .

في كل عصر أن يعتز بما قد وجد -- بإذن الله تعالى -- في بني جنسه من هذا النوع الرفيع العالي ، وذلك مما يشفى أفراد النوع البشري من أدواء اليأس ومركب النقص والفرار من المجتمع الإنساني ، وترتفع به همم العاملين في الخط السليم ، وتنشط وترسخ في النفس دافع الحب الخالص لشخصية خاتم النبيين ، و إمام المرسلين محمد ﷺ خاصة ، و لجميع الأنبياء والمرسلين عامة ، ويتحول الإيمان بالغيب إلى الإيمان بالشهود ، بمشاهدة آثار ونتائج تربية النبي الكريم ﷺ و تعليمه ، و قد صدق شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية حينما قال :

"وخيار هذه الأمة هم الصحابة ، فلم يكن في الأمة أعظم اجتماعاً على الهدى ودين الحق ، ولا أبعد عن التفرق والاختلاف ، منهم ، وكل ما يذكر عنهم مما فيه نقص ، فهذا إذا قيس إلى ما يوجد في غيرهم من الأمة كان قليلاً من كثير ، وإذا قيس ما يوجد في الأمة إلى ما يوجد في سائر الأمم كان قليلاً من كثير ، وإنما يغلط من يغلط أنه لينظر إلى السواد القليل في الثوب الأبيض ، ولا ينظر إلى الثوب الأسود الذي فيه بياض" (١) .

☆☆☆☆

(١) منهاج السنة -لشيخ الإسلام ابن تيمية : ج/٣ ، ص/٢٤٢ .

حركة العلمنة
في العالم الإسلامي : للأستاذ أسرار عالم

ترجمة من الأردية : بقلم الأستاذ غطريف شهباز الندوي

٥- التسامح : وهو تعبير جيد ومحبوب ، لكن يراد به عندهم خلق جو لا يتحرر المسيحيون فيه عن الدين ، وقيمه وتعليماته الروحانية ، وضوابطه الأخلاقية فحسب ، بل سيفقدون حميتهم الدينية أيضاً ، حتى يتحملوا بكل سهولة ، وأحياناً بروح من الرغبة ، كل طعن يطعن في الدين ، وشعائره وقيمه باسم التسامح الديني ، فبدأوا شن غارات عنيفة وركيكة على الشعائر الدينية مع ترغيب الناس أن يفعلوا هم الآخرون مثل ذلك ، وترويج تيار لتوجيه التهم واللعن والطعن في الشخصيات التي لها طابع ديني ، وتمت العملية كلها تحت لافتة "الإنسانية" ، فسأل ليوناردو برونى (Leonardo Broni) في استنكار واستغراب : "هل زاد الرسول بال (Paul) في تعليمات أفلاطون و أخباره شيئاً" (١) ، وشخص بروني هذا دليل قوي على مدى هيمنة المؤامرة اليهودية وتغلغلها في أحشاء العالم المسيحي .

٦- العلم : ويراد به هنا العلم الجديد الذي وضع أساسه على التحرر من كل تصورات الإله والرسالة والآخرة ، والزمان والمكان ، والحياة ، والخير والشر، فحركة الإنسانية قد نجحت في الذهاب بالعقل البشري إلى هذه الصحراء ، أي العلم الجديد ، أو في تعبير أصح -- العلم اليهودي -- والذي يبلغ الآن قمته ، في تأثيره العميق على كل مجالات الحياة البشرية .

(١) انظر : (Perum IItalicarim Sriptores, by Omillio Santini) : المجلد : ١٩ ، الباب الثالث ، طبعة ثانية .

وحركة الإنسانية قد مرت بمراحل عدة في سفرها الطويل ، فحيناً وصفت بالاشتراكية أو الشيوعية ، وحيناً سميت بالبراجماتية ، والتي أدلت بنظرية مركزية الإنسان (Anthropecentric) القائلة بأن الإنسان هو ميزان كل شئ ، وحيناً ظهرت هذه الإنسانية في صورة الذاتية (Personalism) القائلة بكلية العقل الإنساني ، ومرة جاءت هذه البراجماتية في شكل الوجودية (Existentiolism) القائلة بعدم أي كون سوى هذا الكون البشري ، وأن الكون إنما هو المعروضة البشرية ، ولم تمض أيام إلا وقد بدت نتائج وآثار هذه الحركة ، فضربت الأفكار الإنسانية الكنسية وأسسها ضربة قاضية ، وجعلت الأناجيل وأكابر النصرانية موضع نقاش وحواره ، فجاء إيرازمس (Erasmus) وفسر الكتاب المقدس القديم تفسيراً يونانياً ، وحاول إحداث تغييرات جذرية في مفاهيم ومصطلحات أكليسيا (Ecclesia) ، أو برسبائيتر (or Presbyter) وأدى ذلك إلى زعزعة كيان المسيحية .

وأوجد توحش الإنسانيين وتنفرهم بالدين ومبادئه مشاعر وميولاً وعواطف معاندة و مناوئة للكنيسة في الجماهير ، وكان إظهاره في نقاش ومجادلة جرت بين جان رجلن ، الذي كان شخصاً عبرانياً ومؤيداً كبيراً لليهود (Hebraist) ، وبين يهودي اعتنق المسيحية وهو (John Richlin) والذي أبدى رأيه حول إحراق الكتب اليهودية ، وعلى أثر ذلك وقعت بينهما جدال حاد عنيف ، أفضى بهما إلى تبادل رسائل السب والشتم إلى حد لا يوجد له نظير ، ثم أذاع جان رجلن تلك الرسائل التي تلقاها في حمايته ونصرته باسم "مجموعة رسائل المشاهير" (Letters of Famus men) أخرجت في ١٥١٤م وأوجدت هذه المجموعة بيئة سوقية للخلاعة الخلقية والمجون الفكري والفحش القلمي والعلمي ، كما أن مؤيدي رجلن أخرجوا كتاباً آخر (The Letters of Obscure men) في تأييد جان ومساندته ، وقد استهدف الكتاب المسيحية خاصة والنزعة الدينية عامة علانياً ، وكان من بين مصنفي هذا الكتاب ، إنساني ألماني شهير "الرخ فان هتن" (Ulrukh Van Hutten) وهو أول من نوه بمارتن لوثر وأشاد بحركته .

وتدريجياً استولى هؤلاء الإنسانيون على كافة شعب التعليم في المجتمع الأوربي ، وأثاروا طوفاناً عارماً في كل مكان منه ، فهتن هذا في ألمانية ،

وايراسمس في الهولندا ، وزان لوتي واتي سي في أسبانيا لعبوا لعبتهم ، وركزوا عنايتهم في كل من بريطانيا و فرنسا و ألمانيا في مجالين خاصين ، مجال التعليم ، ومجال رجال عظماء وزعماء البلد ، وأثاروا بلبلة فكرية ، وفوضى علمية ، فقد كتب في أثناء ذلك بلدا سارى كاستيغليا في ... الكورتر (Coutier) ، وكتب السير توماس ايليت (Sir Thoms Elyet) كتابه (The Book of the Bouermour) وتأصلت جذور الحركة في الألمانية ، في أشد أشكالها ، فقد انحرف جميع الأعيان الألمان عن الكنيسة ، وتعاون الجميع مع مارتن لوثر ، وبتعبير أصح ، أغووه ذهنياً وعقلياً ، ولم يخلوا له مكاناً للتفكير ثانياً ، وإعادة النظر في رأيه ، وكان المسكين محاطاً برجال أمثال هتن وجارج اسبالاتائن (Spalatine) اللذان يديران خطامه ، ولا شك كان لوثر عبقرياً مسيحياً مضاعاً ، تم استغلاله باليهود ، وهذه الأحداث أثارت تدريجياً عاصفة هوجاء لنزعات الإباحية والثورة على العقيدة والكنيسة في العالم المسيحي ، وما أمكن أحداً أن يحدّ من دونها ، وبالتالي انكسرت الكنيسة الرومية الغربية ، التي كانت قد افترقت عن الكنيسة الشرقية من ذي قبل ، انكساراً مزيداً ، أداها إلى أشتات وقطع ، وهذه العملية الانهزامية هي التي يقال لها حركة البروتستانت (Protestantism) وهكذا صارت المسيحية في هذا العهد (٩٨-١٥٥٩م) خروقاً وشقوقاً في سائر أوربا ، وبعد ذلك تقدمت اليهودية المتآمرة خطوة ثانية ، ودفعت تلك الخروق المتبعثرة إلى صدام عنيف دام همجي ، اهريق فيه الدماء الإنسانية البريئة باسم الديانة ، الأمر الذي أدى بعامة الناس إلى أن يتنافروا من الدين ، ويتوحشوا لمحض ذكره ، ولما انتهى هذا العهد الذي كانت بدايته ١٥٦١م ، واستمر إلى ١٦٤٨م على اتفاقية ويست فيليا بيكت (West Phalia Pact) أسفر عن أوربا الغريقة في بحر من الهمجية والخوف والعنف والإرهاب ، والمتلطخة بالدماء ، وكان اليهود محتفلين بنجاحهم هذا فلا شك قد أحرزوا من النجاح ما يفوق توقعاتهم ، والكنيسة الكاثوليك ، وقفت صامدة إزاء هذه المؤامرات اليهودية ، وبالرغم من انهزامها فقد نجحت إلى حد كبير في صيانة عقائدها ، على أن البروتستانت التي أثارت الشعب ضد الكنيسة الرومية تحت شعار الإصلاح المذهبي (Religious Reform) لقيت شقاء وتعاسة ، لأنها كانت ألعوبة بأيدي

اليهود ، ورفضتها المسيحية رفضاً باتاً ، فصارت بمثابة كلب عسال يُطرده ولا مكان له ، وتمثل ذلك في أبهى صوره بألمانيا خاصة ، حيث استغلت اليهودية حركة الإصلاح الديني استغلالاً قلّ نظيره ، وكان مفعول الحركات الإنسانية في العالم المسيحي وثمرتها أن انقضت المسيحية كقوة دينية ، وذهبت إلى مزابل التاريخ من غير رجعة (١) .

اشتقت كلمة (Rationalism) من لفظة (Ratio) اللاطينية ، وتعني العقل أو الدليل (Reason) وعرفت بها الإنسائيكلوبيديا الفلسفية ، كما يأتي :

The Term rationalism (from the Latin Ratio, Reason) has been used to refer to several different outlooks and monuments of ideas. By for the most important of these is the philosophical outlook or programme which stusses the power of a piripiri reason to grasp substantial truths about the world and correspondingly tends to regard natural science as a basically a piripiri enprise.

إن مصطلح التعقلية المشتقة من كلمة (Ratio اللاطينية) يطلق على تعبير كإشارة إلى نظريات فلسفية وحركات مختلفة ، من أهمها نظرية فلسفية أو برنامج يؤكد على كفاية أو ضرورة العقل البشري الاستخراجي لأخذ الحقائق المادية الأصيلة للعالم ، وتبعاً لذلك فإنه يعتقد العلوم الطبيعية كوظيفة أساسية وعمل حقيقي له .

إذن فهي فلسفة تعتقد العقل الإنساني حجة أخيرة في الدين ، وبالتالي ترد على سائر عقائد وتصورات تضاد العقل أو لا تلائمه ، ولها ظاهرتان ، إحداهما : كما ذكرت آنفاً ، والظاهرة الثانية : تلك التي جاءت إلى المسرح الأوربي في القرن التاسع عشر ، وكانت في صميمها هدامة للدين ، وترتبط الروح التعقلية بفلاسفة الغرب ، الذين كانوا في القرنين السابع و الثامن عشر ، ومن أبرزهم ديكارتى (Dascartes 1595-1650) ، واسبنوزا (Spinozat 1632-77) ، و لبنتز (Leibnitz 1646-1716) وكان ديكارتى من الذين كان مفعول الإنسانية عليهم

---

(١) هناك كتابات كثيرة في الفرنسية متصلة بهذا الخصوص ، ومنها : (Teil Die Neuzeit) ، طبعة ثانية ، طوبيجن ١٩٣١م .

أشد وأوسع ما يكون ، فقد بغى على المسيحية ورفض الدين رفضاً مطلقاً ، وقال : "لماذا أقول بحقية شئ أراه خيالياً محضاً ، و خلاصة فلسفته الكارتيزية ، جاءت في مقولته الشهيرة (Cogito ergo Sum) أنا أفكر فأنا موجود ، وهذه الفكرة التعقلية التي تولدت في بطن الإنسانية ، كانت آثارها بعيدة ، و وخيمة جداً على سائر مجالات الحياة البشرية في أوربا ، وكان من أكبر منظّريها أمثال دي البرت (De Albert) ، و والير (Volaire) ، و كندورست (Condorcat) ، وكان على رأسهم اليهود ، ثم تبعهم في القرون الأخيرة كانت (Kant) ، و هيجل (Hegal) ، و فشتى (Fichte) ، وشوين هار (Schopen Haur) ، وفيورباش (Feurbach) ، و لسالى (Lassale) ، ويليهم ماركس وانجلنز كحلقات مسلسلة لهذا المسرح ، واتجه فرعها الآخر بطريق (Caluinism) إلى ما يسميه ميكس ويبر (Max Weiber) نظاماً رأسمالياً متطوراً ، ومعنى ذلك أن مثلث الاشتراكية والرأسمالية (Capitalism)، والحقيقية (Realism) نبع من فكرة التعقلية هذه التي بذرت اليهودية بذورها عن طريق "الإنسانية" وتشكل الفلسفة الإغريقية المتوغلة في القدم بما فيها نظريات ارسطاطاليس ، وأفلاطون وسقراط ومن قبلهم من الفلاسفة اليونانيين ، و التي غذاها وغاها الكثير من العلماء والأساطين اليهود على مسرح العصور، كرافد علمي وعقلي وحضاري لها ، ولا يدري إلا القليل أن معظم أساطين هذه الحركة كانوا روحانيين يهود أو أعضاء منظمات سرية ، مثلاً الماسونية وغيرها ، يقول مؤرخ كبير : "هذه الحركة التي كانت تحمل لواء الفكرة الحرة (Free thought) كانت تقف وراءها وتعين وجهتها مؤسسات من مثل الجمعية العلمانية (The Seculer Society) ، والجمعية القومية العلمانية (The National Secular Society) ، والنقابة الصحفية التعقلية (The Rationalist Press Association) ، وهذه الحركة كانت في صميمها دعوة صارخة إلى استئصال مبادئ الدين السماوي ، وإلى التبنّي بمبدء أن العقل البشري عقل كلي ، ويجب إنكار كل ما لا يعقل ولا تصدقه الحواس الخمس ، وإن كل شخص حر في استخدام عقله كيفما شاء ، والذي تبدل فيما بعد بالفكرة العلمية ، في المعنى الغربي ، ونشأت منها ما يسمى بالطريقة العلمية (Scientific Method) .

[للحديث صلة]

الدعوة الإسلامية والقرآنية :

علوم القرآن الكريم

(٣)

بقلم : فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني
ترجمة من الأردية إلى العربية ، بقلم : محمد أنجد البستوي

❁ الظنون العقلية على الوحي :

قد ذكرنا فيما سبق أن الوحي وسيلة مؤثرة للهداية والإرشاد من الله عزّوجل في الأمور التي لا يمكن إدراكها بالعقل المحض ، ومعلوم أن الوحي لا يشاهده إلا الأنبياء ، ولا نقدر على الوقوف على كيفياته الصحيحة الخالصة ، ولذا ينظر العالم المعاصر المتأثر بسيل الفكر الغربي الطاغي العرم إلى الوحي نظرة ارتياب وسوء ظنّ ، ثم يتجرأ البعض وينكرون الوحي والإلهام بكل صراحة بل يرون أنه ليس إلا قصة وأسطورة فحسب ، أما البعض فهم وإن كانوا لا ينكرون الوحي بصراحة ، ولكنهم يشعرون بالخجل والندامة على ذكر الوحي في هذا العصر الزاخر بالتقنيات الحديثة والإبداعات العلمية .

فنظراً إلى هذا الوضع المؤسف نوضح مكانة الوحي العقلية والنظرية :

أولاً : يلزم علينا أن نؤمن ونتأكد أن هذا الكون الواسع الأرجاء المحيط الجوانب ، لا يوجد بدون أيّ صانع صنعه وخالق خلقه ؟ أما أولئك الماديون الملحدون الذين لا يقرون بالله و وجوده أصلاً ، ويرون أن وجود الكون وما فيه ، ليس إلا نتيجة للصدف ، فليس هناك أيّ صانع ، إن منكري الإله الصانع ليسوا بجديرين للحديث عن الوحي ، فإن الذي يأبى وجود الإله ، لا يمكن أن يتدبر في حقائق الوحي بجدية ، ثم يقر ويؤمن به ، فإنه يحتاج قبل كل شئ إلى البحث عن وجود الله سبحانه ، وأما الذين يعترفون ويؤمنون بالله و وجوده

فلا يصعب عليهم إدراك معنى الوحي ، وحاجته العقلية ، وإمكانه و وجوده الأصلي وغير ذلك من الأمور المتعلقة به .

فإذا أذعنت لنفسك أن هذا الكون إنما ظهر نتيجةً لصنع صانع قدير ، وهو الذي يدبّر نظام الكون المحكم الشامل ، ويسيره بحكمته البالغة ، وهو الذي بعث الإنسان إلى هذا العالم وخلقه لهدف خاص وغرض منشود ، فكيف يمكن آنذاك أن يتركه هملاً -- بعد أن خلقه وبعثه -- في الظلام والضلال وديا جير الشقوة والحرمان بدون أن ييسّر له الوسائل والإمكانيات والفرص للوقوف على غاية خلقه ؟ وعلى ما تقع عليه من المسئوليات ؟ وإلى أيّ غاية وهدف منشود يسير ؟ وعلى أيّ طريقة يحقق غاياته ويؤدي واجباته ؟ أيمكن أن يبعث رجل فطن بصير خادمه إلى سفر لغرض خاص ، ثم لا يبين له الغرض والعمل الواجب وقت السفر ولا بعده ؟ فإذا ما استطاع الإنسان على إتيان مثل هذا العمل العبث ، فكيف يُتصور عن الله جلّ وعلا الذي يدبر الكون بحكمته البالغة أن يترك الإنسان على حاله ولا ييسّر له وسائل الهداية والإرشاد ؟ كيف يمكن أن الله -- الذي أوجد ما لم تتصوره العقول والألباب من آيات الشمس و القمر و السماوات و الأرضين و الكواكب والنجوم والأفلاك -- لا يستطيع أن يقوم بتوفير وسائل التبليغ والإرشاد للعباد جميعاً ؟

فالإيمان بحكمة الله البالغة يحتّم الإيمان بأن الله ما أطلق قيود الإنسان ، رما تركه في ظلمات بعضها فوق بعض ، بل أوجد نظاماً محكماً مستقلاً لهداية الناس وترشيدهم ، وهو الوحي والرسالة -- فاتضح أن الوحي ليس بمعتقد ديني فحسب ، بل هو حاجة أكيدة تشعر بها العقول والأذهان ، فالرفض للوحي إنما هو رفض للحكمة الإلهية البالغة ، أما القول بأن الطرق المذكورة فيما قبل لنزول الوحي لا تدركه عقولنا وأذهاننا ، فليس هو بدليل علمي لرفض الوحي وإنكاره ، فإن الأمر الذي قد ثبت وقوعه بالحجج القاطعة التي لا تُنكَر لا يمكن أن يُرفَض ويُطرَح على أساس عدم المشاهدة والعيان فقط -- فكما أنتم تعلمون وتثقون بأن لو قيل إذن أمام رجل سالف قبل عدة قرون أن

الإنسان سيطير في الفضاء ، ويقطع مسافات شاسعة من آلاف الأميال في ساعات قليلة بالركوب على الطائرة ، فلن يعتبره ذلك الإنسان إلا قصة خرافية بل عده من الأضاحيك والمهازيل ، فهل يسبب رفضه وعدم اعتباره رفض وجود الطائرة وحقيقة طيّ المسافات الطويلة في أقصر وقت وأقربه ؟ وهناك ألوف من سكان المناطق المتخلفة اليوم أيضاً لا يعترفون بوصول الإنسان إلى القمر ، بل يرفضونه رفضاً باتاً ، ولكن هل كان هذا الرفض موجباً لعدم وصول الإنسان إلى القمر ؟ وكذا إذا ذكرنا أمام قطّان البادية المتأخرة تفاصيل نظام الكمبيوتر وترتيبه ، وأخبرناهم بأن هناك آلة من الآلات الالكترونية تحل محل الدماغ الإنساني ؟ فلا يثقون على هذه التفاصيل ويبدون الشكوك والريب بكل صراحة وصرامة ، فهل هذا الارتياب موجب لرفض وجود الكمبيوتر ؟ كلا ! فالوحي الذي لا يمكن الانكار لحاجته عقلاً ورأياً ، وقد شاهده ومارسه مائة وأربع وعشرون ألف من الأنبياء الذين ليس لهم أيّ مكافئ ومماثل في الصدق والأمانة ، هل يُرفَض ويُكذّب ؟ و أيّ بعد عقلي واستحالة في الطرق التي ذكرناها للوحي ؟ هل هذه الطرق تخرج عن إطار قدرة الله الواسعة ؟

إذا استطاع علماء الطبيعة في العالَم على اختراع الآلات المدهشة الحديثة من الهاتف والراديو والتيلي برنتر والتلفزيون وغيرها ، فهل يمكن أن يصعب أو يستحيل على الله القدير ترتيب النظام المحكم لتبليغ الرسالات إلى عباده بحيث أن يكون هذا النظام أحكم وأوثق وأثبت من جميع وسائل النقل الحديثة ؟

فليس الوحي في الأصل إلا أن يلقى الله جلّ وعلا كلامه على أحد من الأنبياء بالوسيط أو بدون أيّ وسيط ، فأيّ استبعاد عقلي في تصديق هذا الأمر؟ نتردد فيما إذا أثبتنا الوحي بتمثيل أيّ مخترع إنساني أو عمل بشريّ ، ولكننا نوجه إليكم على سبيل المثال عملاً بشرياً يلقى فيه إنسان في قلب الآخر ودماغه ما شاء من الآراء والأخيلة بطريق الاستيلاء على الدماغ والتسخير

للقلب ، هذا العمل يسمى : "بالتصرف الخيالي" في مصطلح الصوفية ، ونظائر هذا العمل لا تحصى في تراجم رجال التزكية والتربية وسيرهم ، ومن أهم عناصر العمل أن إنساناً يتسلط ويسيطر على قلب وفكر إنسان آخر ، بقوة مخيلته وبالغ فكره بحيث يجبره على استنطاقه وفعله بما شاء ، أما الماديون فما زالوا يأبون بقوة هذا التصرف إلى حين من الدهر ، وقلدهم في ذلك كثير من المسلمين ورأوا أنه قصة خيالية أو حكاية أسطورية لا أصل لها ، حتى ولد ميسمر (١) (Mesmer) العالم الطبيعي الشهير في "سويسرا" في وسط القرن الثامن عشر ، وتناول "الدماغ الإنساني" بالبحث والتحقيق ، وكشف في إحدى مقالاته في سنة ١٧٧٥م أن الدماغ الإنساني يمكن إخضاعه وتسخيره بالعمل المغناطيسي ، وكان يعبر هذا العمل بعمل التنويم المغناطيسي (Anima Magnetism) ، ثم مكث في "فرنسا" ، وأجرى عديداً من التجارب العملية الموفقة أيضاً ، ولكنه ما استطاع أن يقنع أهل زمانه ، ويزيل عن شكوكهم بشكل أتم وأكمل ، ثم جاء عالم طبيعي آخر جيمس بريد (James Braid) في "إنجلترا" في سنة ١٨٤٢م ، واستأنف الإثبات لهذا العمل على أسس العلوم الطبيعية من جديد ، وسماه بعمل التنويم أو هبناتزم (Hypnotism) .

وهناك عدد من المراحل في عمل التنويم الذي اقترحه جيمس ، والغاية الأخيرة لهذا العمل توصيل المعمول المستهدف لهذا العمل (Hypnotised) إلى جمود جميع عضلات الجسد وأعصابه وأعضائه ، وفقد الشعور والإحساس بكامله ، وكذا تعطيل حواسّه الظاهرة والباطنة وتشليلها ، ولكن المرحلة

---

(١) وهو (Fredrich Anton Mesmer) ولد في "سويسرا" في مايو سنة ١٧٣٣م ، وتوفي في مارس سنة ١٨١٥م في "ميرسبرج" .

وقد تناول ميسمر أولاً علم الطب بالبحث والتحقيق ، ثم رجع إلى عمل التنويم حتى حذق وصار بانياً له .

وإليه ينتسب علم التنويم في الموسوعة العالمية العائلية : ج/١٣ ، ص/٢٤٢٥ .

The World Family Encyclopaedia.

الوسطى لهذا العمل لا ينقطع فيها الحراك والشعور بأسره ، ولا تُشلّ الحواس والجسد أيضاً ، وقد سلط الضوء على هذا الأمر وكيفياته في كتابه The World Family Encyclopaedia) قائلاً : "إن كان عمل التنويم خفيفاً لا يبلغ إلى النهاية فيستطيع المعمول على إدراك الأمور المختلفة فمثلاً يمكن أن يعتبر نفسه شخصاً آخر ، وفق ترشيد العامل في هذا الوضع ، ويرى أشياء مخصوصة لا توجَد هناك أو يشعر في نفسه بأحاسيس غير طبيعية ، لأنه يتبع آنذاك توجيهات العامل وتنبيهاته .

فلما ظهرت هذه التجارب والبحوث أمام الناس خضع لها أولئك الماديون الذين كانوا ينكرونها أشد الإنكار ، وقد أصبح هذا الموضوع اليوم موضوع التسلية ومتعة النفس وحديث النوادي عند الغربيين ، فصار وسيلة لكسب مئات من العاملين ، ويساعد هذا العمل في علاج المرضى وشفائهم ، فالتصرف الخيالي الذي كان معروفاً وسارياً لدى الصوفية منذ قرون ، وكان الناس يرفضونه قائلين بالوهم والباطل ، قد أصبح الآن حقيقة من الحقائق الثابتة باسم : "هبناتزم" والآن اعترف به الماديون المدعون بعقلانيتهم الذين يرون كل أمر إسلامي ذي بال غير طبيعي ويعتبرونه وهماً وخيالاً ويرون أن كل ما توصل إليه الغرب من البحث والتحقيق فهو حقيقة و واقع لا ينكر .

فالغرض أياماً ما يكون --- : ليس التنويم إلا أن يلقى الإنسان أخيلته ونزعاته في قلب الآخر ودماغه بعمل خاص سخرهما به ، فالقضية الآن التي نريد لفت الأنظار إليها هو أن الله الذي ألهم الإنسان -- عبده -- قوة التصرف الخيالي والتنويم بحيث يستطيع السيطرة على قلب أحد من أبناء جنسه ودماغه لأمور تافهة وغايات بسيطة : كيف لا يقدر هذا العليم الخبير على أن يلقى كلامه في قلب أحد من أصفيائه وأنبيائه لهداية البشرية وترشيدها وإنقاذها من أخبوطة الجاهلية العاتية الطاغية ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

❁ هل القرآن وحي بحسب معناه فقط لا بنظمه :

كما ذكرنا فيما قبل أن الوحي نوعان : المتلو : وهو القرآن ، وغير المتلو :

وهو في عامة الأحوال ينزل من قِبَل الله تعالى بحسب المعنى فقط ، أما اختيار الألفاظ للتعبير عنه فيقوم به سيدنا جبريل ﷺ أو الرسول الأعظم ﷺ ، ولكن القرآن الكريم كلام الله لفظاً ومعنىً بأسرهما -- ونزل بكامله بلفظه ومعناه من قِبَل الله تعالى ، ليس في اختيار تراكيبه وألفاظه أيّ نصيب لجبريل أو الرسول الكريم ﷺ .

والذين راعتهم شبهات الماديين في الوحي يدعون أن القرآن نزل بطريق الوحي معنىً فقط لا لفظاً ، أما الألفاظ والتراكيب والتعبيرات فإنما هي من جبريل ﷺ أو الرسول الكريم ﷺ ، ولكن هذا الخيال دعاية كاذبة وكلام لغو باطل يخالف الحجج القاطعة الصريحة للكتاب والسنة ، فكثير من الآيات القرآنية تصرح بأن ألفاظ القرآن ومعانيه كلها من الله الحكيم ، نذكر طرفاً منها :

١- قد وصف القرآن نفسه : "العربيّ (١)" بين حين وآخر ، يعني أن القرآن أُنزل بلسان عربي مبين ، فقد بان بأن القرآن لو كان نزوله معنىً فقط بطريق الوحي لا لفظاً فلا معنىً لهذا الوصف الوارد بكثرة ، فإن العربية تتعلق بالألفاظ لا المعاني .

٢- ذكر القرآن الكريم ثلاث مسئوليات ضخمة للرسول الكريم ﷺ في عدة مواضع : ﴿ يتلو عليهم آياته * ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾ [سورة البقرة/١٢٩] ، وهي تدل على أن الرسول الكريم ﷺ يقوم بمسئوليتين مستقلتين : تلاوة آيات القرآن وتعليمها ، ومن البين أن التلاوة تتعلق بالألفاظ دون المعاني ، فالمسئولية الأولى تختص بألفاظ القرآن الكريم .

٣- لفظ "الكتاب" ورد كثيراً للقرآن الكريم ، ومعلوم أن إطلاق "الكتاب"

---

(١) انظر : سورة النحل/١٠٣ ، وسورة الشعراء/١٩٥ ، وسورة يوسف/٢ ، وسورة طه/١١٣ ، وسورة الرعد/٣٩ ، وسورة الزمر/٢٨ ، وسورة حم السجدة/٣ ، وسورة الشورى/٧ ، وسورة الزخرف/٣ وغيرها .

لا يكون على المعاني والمفاهيم الذهنية بل المعاني إذا سُبكت في قالب الألفاظ سُميت بالكتاب ، فاتضح أن ألفاظ القرآن ومعانيه كلتيهما منزلة من الله عزّوجل .

٤- كان جبريل يأتي بالوحي فيتعجل الرسول الكريم ﷺ لحفظه وترسيخه الذهني خوفاً من النسيان فأمره الله كما جاء في سورة القيامة : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ﴾ [القيامة/١٦/إلى/١٩] .

فالآيات تدل بكل صراحة و وضوح على أن الألفاظ التي كان يأتي بها جبريل إنما تكون من قِبَل الله تعالى ، ولذا تكفل الله بنفسه لتثبيت ألفاظ القرآن وتعليم طرق تلاوتها وشرح معانيها .

ففي ضوء هذه البراهين البينة يتحقق بطلان هذا الزعم بأن الألفاظ القرآنية ما أُنْزِلَتْ بالوحي ، وما أحسن ما كتبه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله في كتابه : "مناهل العرفان" بهذا الصدد : "وصفوة القول في هذا المقام أن القرآن أوحيت ألفاظه من الله اتفاقاً ، وأن الحديث القدسي أوحيت ألفاظه من الله على المشهور ، والحديث النبوي أوحيت معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول الكريم ﷺ والألفاظ من الرسول الأعظم ﷺ (١) .

فالواقع أن الذين أنكروا دخول الألفاظ القرآنية في الوحي ، إنما هم وقعوا في غلط و وهم كبيرين ، ومنشأ هذا الوهم هو أنهم رأوا نزول الألفاظ بالوحي أمراً غير معقول وسديد ، ولكن إذا جعلنا نصب أعيننا ما كتبنا حول حقيقة الوحي وحاجته العقلية ، و ردّ الشبهات العقلية عن الوحي لكفى ذلك في إزاحة الستار وقطع الشبهات من أصلها .

فإن سُلّم أن الوحي أمر يُحتاج إليه حتماً ، وهو في إطار قدرة الله الواسعة ، فكيف يمكن إذن أن الله سبحانه يقدر على إنزال المعاني على قلب

---

(١) مناهل العرفان : ج/١ ، ص/٥٢ .

نبيه فقط دون الألفاظ ؟ والعياذ بالله من ذلك ، ولنكن على ذكر وبصيرة ههنا أن العلام بدر الدين الزركشي ، والسيوطي ، ذكرا أيضاً أقوال بعض المحققين بأن معاني القرآن من قِبل الله تعالى ، أما الألفاظ فهي لجبريل ﷺ أو لسيدنا الرسول الأعظم ﷺ (١) .

ولكن كما رأيتم وعلمتم أن مثل هذه الآراء لا يزن جناح بعوضة أمام الحجج والبراهين القاطعة الصادقة المحكمة من الكتاب و السنة ، وإجماع الأمة .

وإن الزركشي والسيوطي رحمهما الله تعالى ما صرحا بأسماء هؤلآء القائلين بل ذكرا بـ "قال بعضهم" بل السيوطي رحمه الله تعالى ردّ عليهم أشدّ الردّ .

ولذا لا يمكن أن تكون هذه الأقوال معوّل هذا المذهب الباطل الذي يعاكس تلك البراهين الساطعة القوية المذكورة سابقاً .

[للبحث صلة]

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ج/١ ، ص/٢٢٩ ، والإتقان : ج/١ ، ص/٤٥ .

فضل الصلاة وآثارها

(٢/الأخيرة) بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

وللصلاة أحسن الأثر في تهذيب النفوس ، وتقويم الأخلاق ، ففي كل جزء من أجزائها تمرين على فضيلة من الفضائل الخلقية ، وتعويد على صفة من الصفات الحميدة ، فقد جمعت من الفوائد أنواعاً ، ومن المنافع أصنافاً ، ومن الفضائل ألواناً ، فعزم القلب على امتثال أمر الله تعالى بأداء الصلاة كاملة ، كما أمر بها الله مع الإخلاص له وحده يطبع الإخلاص في نفس المصلي ، ويصبح صفة من صفاته الفاضلة التي لها أجمل الأثر في حياة الأفراد والجماعات ، فلا شئ أنفع في حياة المجتمع الإنساني من الإخلاص في القول والعمل ، و وقوف المصلي بين يدي خالقه خاشعاً خائفاً وجلا من جلال ذلك الخالق القادر القاهر ذي السطوة التي لا تحد والمشيئة التي لا ترد ، ثم ركوعه وسجوده غير مكتف بانحناء ظهره بالكيفية المخصوصة في الركوع : و وضع جبهة على الأرض في السجود ، بل واستشعار قلبه أيضاً بأنه عبد ذليل ينحني أمام عظمة إله عزيز كبير ، لا حد لقدرته ، ولا نهاية لعظمته ، أقرب إليه من حبل الوريد يسمع منه ما يقول ويعلم من قلبه ما ينوي ، فإذا انطبع ذلك المعنى في قلب المصلي مرات كثيرة في اليوم والليلة ، كان قلبه دائماً خائفاً من ربه ، فلا يعمل إلا ما يرضيه ، فيأتمر بما أمره به ، وينتهي عما نهاه عنه ، وتصلح أعماله الظاهرة والباطنة ، فلا ينتهك للناس حرمة ، ولا يعتدي لهم على نفس ، ولا يظلمهم في مال ، ولا يؤذيهم في دين ، ولا يصدر عنه للناس إلا المنفعة والخير ، وفي ذلك الخير كله للنوع الإنساني ، و عندما يحرك المصلي لسانه بالقراءة متدبراً معاني قراءته متعظاً بما يقول فإذا مر على لسانه ذكر

الإله الخالق ، وجل قلبه خوفاً من عظمته وسطوته ، كما قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم * وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ [الأنفال/٢] ، وإذا ذكرت صفة من صفات الله وجب عليه أن يعلم نفسه ، كيف تتخلق بها ، لأن النبي الكريم ﷺ ، قال : "تخلقوا بأخلاق الله" ، فإذا ما قرأ في صلاته الآيات التي تشتمل على هذه الصفات ، وعقل معناها وكررها في اليوم والليلة مرات كثيرة ، فإن نفسه تتأثر بها لا محالة ، ومتى تأثرت نفسه بجميل الصفات حبب إليه الاتصاف بها ، ولذلك أحسن الأثر في تهذيب النفوس ، ونهيها عن الفحشاء والمنكر ، فلا يبقي مع الصلاة دنس الفحشاء والمنكر ، وبذلك يكون من المسلمين حقاً ، كما قال تعالى في سورة العنكبوت ، الآية/٤٥ : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ ، فالصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، هي تلك الصلاة التي يكون العبد فيها معظماً لربه خائفاً منه ، راجياً رحمته ، فحظ كل واحد من صلاته ، إنما هو بقدر خوفه من الله ، وتأثر قلبه بخشيته ، لأن الله سبحانه إنما ينظر إلى قلوب عباده لا إلى صورهم الظاهرة .

هذا ويتعلق بالصلاة أمور أخرى لها فوائد اجتماعية جليلة الشأن منها الجماعة ، فقد شرع الإسلام الجماعة في الصلاة ، وحث عليها النبي الكريم ﷺ فقال : "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة" ففي الاجتماع لأداء الصلاة بصفوف متراصة متساوية تعارف بين الناس يقرب بين القلوب المتنافرة ، ويزيل منها الضغائن والأحقاد ، وذلك من أجل عوامل الوحدة التي أمر الله تعالى بها في كتابه العزيز ، فقال : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً * ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران/١٠٣] ، وفي الاجتماع لأداء الصلاة تذكير بالأخوة التي قال الله عنها : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ [الحجرات/١٠] ، فالمؤمنون الذين يجتمعون لعبادة رب واحد لا ينبغي لهم أن ينسوا أنهم أخوة يجب أن يرحم كبيرهم صغيرهم ، ويوقر صغيرهم كبيرهم ، ويواسي غنيهم فقيرهم ، ويعين قويهم ضعيفهم ، ويعود صحيحهم مريضهم عملاً بقول الرسول

الحبيب ﷺ : "المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ، و من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" .. (١) .

والصلاة بهذه الكيفية قوة للمسلم تعينه في محنته وتحثه على الصبر والتحمل ، وتقوي عزيمته ، وتربط على قلبه ، وتريح فكره وجسده من مشاغل الحياة ، قال تعالى في سورة البقرة ، الآية/٤٥ : ﴿ استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ وكان ﷺ إذا حزبه أمر فوقع في شدة فزع إلى الصلاة ، وهو الوثيق الصلة بربه الموصول الروح بالوحي والإلهام ، وما يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريد زاداً للطريق ، وريا في الهجير ، ومدداً حين ينقطع المدد ، و رصيداً حين ينفد الرصيد .. (٢)، وهي كذلك تكون سبباً في قضاء الحاجات ، وتحقيق الأماني والرغبات ، فعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : "من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بني آدم ، فليتوضأ وليحسن وضوءه ، ثم ليصل ركعتين ، ثم يثنى على الله تعالى ، وليصل على النبي الكريم ﷺ ، وليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والعصمة من كل ذنب ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها ، يا أرحم الراحمين ، ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء ، فإنه يقدر" [أخرجه الترمذي والنسائي ، وابن ماجة] .. (٣) ، وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي الكريم ﷺ ، كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة -عبد الرحمن الجزيري : ج/١ ، ص/١٧٠-١٧٢ .

(٢) في ظلال القرآن -سيد قطب : ج/١ ، ص/٦٩ .

(٣) المأثورات -للإمام حسن البنا : ص/٩٢-٩٣ .

قنت بعد الركوع ، فقد شرع القنوت جهراً في الصلوات الخمس عند النوازل .. (١) ، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ، قال : "أقرب ما يكون العبد من ربه ، وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء" .. (٢) ، فكم نيل بها من أنواع الخيرات ، وعظيم البركات ، قال تعالى في سورة طه ، الآية/١٣٢ : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة * واصطبر عليها * لا نسألك رزقاً * نحن نرزقك ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة آتاك الرزق من حيث لا تحتسب ، وعن ثابت ﷺ قال : كان النبي الكريم ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله ، يا أهلاه ! صلوا ، صلوا .. (٣) كما سن رسول الله ﷺ في حالة القحط ، وامتناع المطر صلاة الاستسقاء لتكون الصلاة عاملاً للرزق بنزول المطر سبب الخير ، والنماء ، والحياة ، والاستسقاء بمعني طلب سقي الماء ، ومعناه هنا طلبه من الله تعالى عند حصول الجدب ، وانقطاع المطر ، وكيفيتها أن يصلي الإمام بالمأمومين ركعتين من غير آذان ولا إقامة في أي وقت غير وقت الكراهة يجهر في الأولى بالفاتحة ، و ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ، والثانية بالغاشية بعد الفاتحة ، ثم خطبة بعد الصلاة أو قبلها ، فإذا انتهي من الخطبة حول المصلون جميعاً أرديتهم بأن يجعلوا ما على أيمانهم على شمائلهم ، ويجعلوا ما على شمائلهم على أيمانهم ، ويستقبلوا القبلة ، ويدعو الله عزّوجل رافعي أيديهم مبالغين في ذلك ، فعن ابن عباس ﷺ قال : خرج النبي الكريم ﷺ متواضعاً متبدلاً (لابساً ثياب العمل) متخشعاً مترسلاً (متأنياً) متضرعاً ، فصلى ركعتين ، كما يصلي في العيد ، لم يخطب خطبتكم هذه ، رواه الخمسة وصححه الترمذي ، وأبو عوانة ، وابن حبان ، وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر أي احتباسه ، فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى ، و وعد الناس يوماً يخرجون فيه ،

---

(١) فقه السنة -السيد سابق : ج/١ ، ص/١٩٧-١٩٨ .

(٢) سنن أبي داؤد -للإمام الحافظ أبي داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني : ٢٣١/١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم -لابن كثير : ج/٣ ، ص/١٧١ .

فخرج حين بدا حاجب الشمس أي ضوءها ، فقعد على المنبر ، فكبر ، وحمد الله ، ثم قال : "إنكم شكوتم جدب دياركم ، وقد أمركم الله أن تدعوه ، و وعدكم أن يستجيب لكم" ، ثم قال : "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ،مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله ، يفعل ما يريد اللهم ، لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت علينا قوة ، وبلاغاً إلى حين" ، ثم رفع يديه ، فلم يزل (يدعو) ، حتى رؤى بياض إبطيه ، ثم حول إلى الناس ظهره ، وقلب رداءه ، وهو رافع يديه ، ثم اقبل على الناس ، ونزل فصلى ركعتين ، فأنشأ الله تعالى سحابة ، فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت بإذن الله تعالى ، فلم يأت مسجده ، حتى سالت السيول ، فلما رأى سرعتهم إلى الكن أي البيت ضحك ، حتى بدت نواجذه ، فقال : "أشهد أن الله على كل شئ قدير ، وأني عبد الله ورسوله" [رواه الحاكم وصححه ، وأبو داؤد] ، وقال : هذا حديث غريب ، وإسناده جيد .. (١) ، وهكذا فإن في الصلاة شرحاً للصدور ، و زوالاً للهموم ، و إذهاباً للغموم ، و إعانة على أمور الحياة ، و قضايا الحاجات .

☆☆☆

وصلى الله تعالى على خير خلقه ، محمد وعلى آله وصحبه وسلم

☆☆☆

(١) فقه السنة -السيد سابق : ج/١ ، ص/٢١٥-٢١٦ .

الفقه الإسلامي :

المصلحة بين الافراط والتفريط

(٤/الأخيرة)

بقلم : الأستاذ عتيق أحمد القاسمي
أستاذ كلية الشريعة وأصول الدين ، جامعة دار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ (الهند)

۞ المصلحة بين الإفراط والتفريط :

قد وقع بعض الناس في الإفراط والتفريط قديماً وحديثاً في اعتبار المصلحة والاستدلال بها ، مع أن الحق التوسط بين جانبي القضية واعتبارها مراعياً ضوابطها .

أول من أفرط في اعتبار المصلحة وجعلها فوق النص والإجماع نجم الدين الطوفي من علماء القرن الثامن ، قد كتب الباحثون في هذا العصر كثيراً حول شخصية الطوفي وآرائه الشاذة في المصلحة وذبحوا وقتلوا هذا الموضوع تقتيلاً لهذا لا أطيل الكلام حول الطوفي وآرائه في المصلحة بل أكتب حول الطوفي ورأيه في المصلحة بإيجاز لأنه على رأس من أفرطوا في المصلحة .

هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي ، الصرصري ، لقبه نجم الدين ، وكنيته أبو الربيع ، نُسب إلى قريته "طوفي" التي هي مولده ومنشأه "طوفي" قرية من أعمال "صرصر" التي هي في ضواحي بغداد ، ينسب الطوفي إلى "صرصر" و "بغداد" أيضاً ، فيقال نجم الدين الطوفي ، الصرصري ، البغدادي ، اختلف المؤرخون والمترجمون له في سنة ولادته ، يكتب ابن حجر في "الدرر الكامنة" : إنه ولد في سنة ٦٥٧هـ ، وابن رجب في ذيله على طبقات الحنابلة ، وابن العماد في "الشذرات" يصرحان : إنه ولد في سنة بضع وسبعين وستمائة ، مال الدكتور (٣٥) مصطفى زيد إلى ترجيح قول ابن حجر .

والراجح أن الطوفي توفي سنة ٧١٦هـ ، كما ذكره ابن رجب وابن حجر وابن العماد .

كان الطوفي حنبلياً تعلم أولاً في مولده ومنشأه "طوفي:" تلمذ على بعض مشايخها ، ثم رحل إلى "صرصر" لطلب العلم و استفاد من العلماء و المشايخ ، ثم سافر إلى مركز الخلافة دار السلام بغداد في سنة ٦٩١هـ ، واستفاد من مشايخها وعلمائها ، وكانت بغداد في ذلك الزمان مع ضعفها السياسي معمورة بالعلم والعلماء ، كبرى المراكز العلمية في العالم الإسلامي ، وكان "الطوفي" شديد الذكاء ، قوي الحافظة ، حريصاً على العلم كثير المطالعة فاتصل بحلقات العلم في "بغداد" ، وظهر تفوقه العلمي فيها ودرس وصنف وأفاد واستفاد ثم انتقل سنة ٧٠٤هـ إلى "دمشق" ، واستفاد واتصل بعلمائها البارزين مثل الشيخ تقي الدين بن تيمية والمزي والبرزالي وغيرهم .

في عام ٧٠٥هـ انتقل من "دمشق" إلى "القاهرة" ، واستفاد من علمائها ودرّس وأفاد مدة ، هناك رمي بالتشيع والرفض وحوكم وعزّر وطيف به في شوارع القاهرة (٣٦).

اتهم الطوفي من المترجمين له بالتشيع والرفض مثل الحافظ ابن رجب في ذيله على طبقات الحنابلة ، والحافظ ابن العماد في شذرات الذهب ، والصفدي في بعض مؤلفاته وحاول بعض الكتاب المعاصرين دفع سمة التشيع عن الطوفي مثل الدكتور مصطفى زيد في كتابه : "المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي" لكنه ما نجح فيه بل الحقيقة ، كما قال أبو زهرة في مقدمة كتاب مصطفى زيد :

"وإنه لمن الواجب علي قبل أن اختم كلمتي هذه أن أشير إلى موضوع الرسالة بإشارة موجزة ، تلك هي أننا في المناقشة أخذنا عليها مآخذ هي كما نوهنا عثرات نشأت من اليسر السريع أو النظر السريع من غير ترديد للفكر .. و لعل أبرز هذه المآخذ و أوضحها في محاولته تبرئة الطوفي من التشيع ، فإن النصوص التي نقلها مستشهداً بها لنفي التشيع تطوي في ثناياها دليل إثباته ، وكل نص ساقه دليلاً للنفي هو في مغزاه ومرماه وباعثه دليل الإثبات" (٣٧) .

نظرية المصلحة عند الطوفي اشتهرت بالإحالة إلى شرحه للأربعين النووية أثناء شرحه لحديث : "لا ضرر ولا ضرار" ولا شك أن نظريته هذه تجلت وبلورت جوانبها في شرحه للأربعين النووية ، لكن مجمل نظريته موجود في كتابه الحافل "شرح مختصر الروضة" في أصول الفقه الذي حققه الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ونشره في ثلاثة مجلدات من مؤسسة الرسالة بيروت .

يقول الطوفي أثناء شرحه لقضية الاستصلاح :"قلت" اعلم أن هؤلاء الذين قسموا المصلحة إلى معتبرة وملغاة ومرسلة ضرورية وغير ضرورية تعسفوا وتكلفوا والطريق إلى معرفة حكم المصالح اعم من هذا و أقرب ، وذلك بأن نقول : قد ثبت مراعاة الشرع للمصلحة والمفسدة بالجملة إجماعاً ، وحينئذ نقول :

الفعل أن تضمن مصلحة مجردة حصلناها وأن تضمن مفسدة مجردة نفيناها وأن تضمن مصلحة من وجه ومفسدة من وجه فإن استوى في نظرنا تحصيل المصلحة ودفع المفسدة توقفنا على المرجّح أو خيرنا بينهما ، كما قيل فيمن لم يجد من السترة إلا ما يكفي أحد فرجيه فقط ..." .

ثم يقول بعد صفحة : أما تعيين الصوم في كفارة رمضان على الموسر فليس يبعد إذا أدى إليه اجتهاد مجتهد وليس ذلك من باب وضع الشرع بالرأي بل هو من باب الاجتهاد بحسب المصلحة أو من باب تخصيص العام المستفاد من ترك الاستفصال في حديث الاعرابي وهو عام ضعيف فيخصص بهذا الاجتهاد المصلحي المناسب وتخصيص العموم طريق مَهْيَعٌ ، وقد فرق الشرع بين الغني والفقير في غير موضع فليكن هذا من تلك المواضع (٣٨) .

لا شك أن جراثيم نظرية الطوفي المصلحية موجودة في كتابه شرح مختصر الروضة إجمالاً لكنه بسط و أوضح وبرهن نظريته هذه في شرحه للأربعين النووية ، وصرح بتقديم المصلحة على النص والإجماع في غير العبادات والمقدرات ، كما هو معروف عند أهل العلم .

لا نطيل البحث بنقل كثير من عباراته واستدلالاته بل نكتفي بنقل بعض عباراته التي تدل على ملخص نظريته المصلحية الشاذة المرفوضة ، يقول الطوفي : "لعلك تقول إن رعاية المصلحة المستفادة من قوله ﷺ : "لا ضرر ولا ضرار" لا تقوى على معارضة الإجماع لتقضى عليه بطريق التخصيص والبيان لأن الإجماع دليل قاطع ، وليس كذلك رعاية المصلحة ، لأن الحديث الذي دل عليها واستفيدت منه ليس قاطعاً فهي أولى ، فنقول لك : إن رعاية المصلحة أقوى من الإجماع ويلزم من ذلك أنها أقوى أدلة الشرع ، لأن الأقوى من الأقوى أقوى ويظهر ذلك بالكلام في المصلحة والإجماع (٤٠) .

فإن قيل : "لم لا يجوز أن يكون من جملة ما راعاه من مصالحهم نصب النص والإجماع دليلاً لهم على معرفة الأحكام ؟ قلنا : هو كذلك ونحن نقول به في العبادات وحيث وافقا المصلحة في غير العبادات ونحن نرجح رعاية المصالح في العادات والمعاملات ونحوها لأن رعايتها في ذلك هي قطب مقصود الشرع منها بخلاف العبادات فإنها حق الشرع ، ولا يعرف كيفية إيقاعها إلا من جهته نصاً أو إجماعاً" (٤١) .

"واعلم أن غرضنا من هذا كله ليس القدح في الإجماع وإهداره بالكلية ، بل نحن نقول به في العبادات والمقدرات ونحوها ، وإنما غرضنا بيان أن رعاية المصلحة المستفادة من قوله ﷺ : "لا ضرر ولا ضرار" أقوى من الإجماع ومستندها أقوى من مستنده ، وقد ظهر ذلك مما قررنا في دليلها والاعتراض على أدلة الإجماع .. (٤٢)" .

"اعلم أن هذه الطريقة التي ذكرناها مستفيدة لها من الحديث ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب إليه مالك ، بل هي أبلغ من ذلك وهو التعويل على النصوص والإجماع في العبادات والمقدرات وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الأحكام" (٤٣) .

لا حاجة بنا إلى الرد على الطوفي وتفنيد نظريته في المصلحة لأن كثيراً من علماء هذا العصر تكفلوا بالرد عليه في كتبهم (٤٤) وكتاباتهم ، والحقيقة أن

بطلان نظرية الطوفي بديهي لمن له أدنى إلمام بالشريعة الإسلامية وأن تقديم المصلحة على النص والإجماع تعطيل للشريعة وإلحاد في الدين وتلاعب بنصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ولنعم ما قال الدكتور البوطي رداً على الطوفي : ولو لا ثلاثة من الذين فتنوا بهذا الزيف من المدنية الغربية ، وعثروا في شذوذ الطوفي على ما يسترون به عن الناس حقيقة زيفهم وتجافيهم عن أساس الدين الذين يتظاهرون بالدينوية به ، فراحوا يجعلون من لغو الطوفي بوقاً يصرخون فيه بين الناس ذات الشمال وذات اليمين ، أقول : لو لا ذلك لحفظت الوقت الثمين من تضييعه في الرد على كلام لو بحث المناطقة عن أمثلة يستعملونها للتقرب في باب شرح السفسطة والمغالطة في الأدلة لم يجدوا خيراً منه لذلك" (٤٥) .

إن نظرية الطوفي المصلحية أضر على الأمة الإسلامية من نزعته الشيعية الشديدة حتى إن علماء الشيعة الإمامية أيضاً تبرؤوا من هذه النظرية المنحرفة الإلحادية ، كانت هذه النظرية الفاسدة نائمة حتى أيقظها بعض الرجال في القرن الرابع عشر الهجري ، وروجوها ودعوا إليها ولو لا قام طائفة موفقة من علماء هذا القرن بالرد على هذه النظرية الزائفة ودحضوها لنالت قبولاً وإعجاباً وفُتن بها كثير من المسلمين .

والعجب أن الشيخ جمال الدين القاسمي نشر لأول مرة رأى الطوفي المصلحة في صورة رسالة مستخلصاً من شرحه للأربعين النووية بدون أ انتقاد عليه ، وهكذا نشره الشيخ محمد رشيد رضا في مجلته المنار بدون أ نقد أو تمحيص وتأثر برأى الطوفي بعض الباحثين في القرن الرابع عشر مث الدكتور مصطفى شلبي في كتابه تعليل الأحكام ، يقول : وأما نجم الدي الطوفي فقد فتح باب المصالح على مصراعيه في أبواب المعاملات وقدمها عل كل دليل حتى النص والإجماع : وتلك رسالة شاهدة بذلك ، تكلم فيها عل المصلحة بما لم يسبقه أحد ممن تكلموا في هذا الباب ، وأن تعالى في بعض مواقفه وقد سبقت الإشارة إلى شئ من ذلك .

وبعد فهؤلاء الإعلام الثلاثة -- ابن تيمية وابن القيم والطوفي -- هم الحنابلة الأحرار الذين لم يدخلوا ربقة التقليد في أعناقهم ، فنضجت عقولهم وسمت أفكارهم ، و وقفوا على الشئ الكثير من أسرار الشريعة ، ولو كان غيرهم سلك هذا المسلك لصار الناس إخواناً في الله غير متجافين ولا متنابزين بالألقاب ولا متقاتلين بسلاح السباب الهدام للأخوة الإسلامية .. (٤٧) ، ص/٣٧٨-٣٧٩ .

إدخال الدكتور مصطفى شلبي نجم الدين الطوفي في صف شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم رحمهما الله تعالى إسراف منه في تقدير الطوفي ، وإنزاله فوق المنزلة التي تليق به ، فكم من فرق شاسع وبون بعيد بين موقف الشيخين -- ابن تيمية وابن قيم -- وموقف الطوفي في المصحلة فإن الطوفي يقدم المصلحة على النصوص -- حتى القطعية -- والإجماع والشيخان بريئان من هذا الموقف الإلحادي الخارق للإجماع الذي كاد أن يقضى على الأدلة الشرعية كلها .

حينما نُشر أول مرة رأى الطوفي في المصلحة في البلاد العربية ودُعى إليه قام كثير من العلماء الغيارى بالرد عليه منهم الشيخ العلامة محمد زاهد الكوثري ، يقول في مقالة له عنوانه : "شرع الله في نظر المسلمين" .

"ومن جملة أساليبهم الزائفة (أيّ من أساليب المرجفين) في محاولة تغيير الشرع بمقتضى أهوائهم ، قول بعضهم : "إن مبنى التشريع في المعاملات ونحوها المصلحة ، فإذا خالف النص المصلحة يترك النص ويؤخذ بالمصلحة ، فيا لخيبة من ينطق بمثل هذه الكلمة ويجعلها أصلاً يبنى عليه شرعه الجديد ، وما هذا إلا محاولة نقض الشرع الإلهي لتحليل ما حرمه الشرع باسم المصلحة ، فسل هذا الفاجر ما هي المصلحة التي تريد بناء شرعك عليها ؟ إن كانت المصلحة الشرعية فليس لمعرفتها طريق غير الوحي حتى عند المعتزلة الذين ، يقال عنهم أنهم يحكمون العقل ... وإذ كنت تريد المصلحة الدنيوية على اختلاف تقدير المقدرين فلا اعتبار لها في نظر المسلم عند مخالفتها للنص

الشرعي ، إذ العقل كثيراً ما يظن المفسدة مصلحة بخلاف الشرع ، وأما المصلحة المرسلة وسائر المصالح المذكورة في كتب الأصول وكتب القواعد ففيما لا نص فيه باتفاق بين علماء المسلمين فلا يتصور الأخذ بها عند مخالفتها لحجج الشرع .

وأول من فتح باب هذا الشر هو النجم الطوفي الحنبلي ، فإنه قال في شرح حديث : "لا ضرر ولا ضرار" إن رعاية المصلحة مقدمة على النص والإجماع عند التعارض .. وهذه كلمة لم ينطق بها أحد من المسلمين قبله ، ولم يتابعه بعده إلا من هو أسقط منه ...

ومن الذي ينطق لسانه بأن المصلحة قد تعارض حجج الله من الكتاب والنسة والإجماع ؟ إن القول به قول بأن الله لا يعلم مصالح عباده فكأنهم أدري بها حتى يتصور أن تعارض مصالحهم الأحكام التي دلت عليه أوامر الله المبلغة على لسان رسوله ، سبحانك هذا إلحاد مكشوف ، ومن أعار سمعاً لمثل هذا القول فلا يكون له نصيب من العلم ولا من الدين .

وليست تلك الكلمة غلطة فقط من عالم حسن النية تحتمل التأويل بل فتنة فتح بابها قاصد شرر مثير فتن (٤٨) ، كلمات غيظ وسخط صدرت من الكوثري وأمثاله في الطوفي وأمثاله ليس مصدرها إلا الغيرة على الدين والشرع فإنه إن راج رأى الطوفي في المصلحة في الأوساط العلمية لا يبقى من الدين إلا اسمه ولا يبقى من الشرع الإلهي إلا رسمه .

قد أسرف بعض الكتاب المعاصرين في مراعاة المصلحة -- بل هو مراعاة الأهواء والشهوات -- خلاف النص والإجماع أكثر من الطوفي واتباعه ، فقدم بعضهم المصلحة على النص والإجماع في العبادات والمقدرات أيضاً خلافاً للطوفي ، فقال بعضهم : نصابا الذهب والفضة كانا متساويين مالية وقيمة في العهد النبوي ، وفي العهد الحاضر قد وقع فرق كبير بينهما لغلاء الذهب ورخص الفضة فالمصلحة أن يغير نصاب الفضة إلى نصاب الذهب ، حتى لا تجب الزكاة في الفضة -- مهما بلغ وزنها -- حتى تكون قيمته مساوية لقيمة

عشرين ديناراً من الذهب مع أن نصاب الفضة منصوص متواتر مجمع عليه ، وهذه المسألة تتعلق بالعبادات والمقدرات ، هكذا قال بعض المصلحين المتلاعبين بالشريعة : إن صلاة الجمعة لابد أن تؤدي يوم السبت في البلاد الغربية -- أوربا وأمريكا -- بدل يوم الجمعة لأن اجتماع المسلمين في صلاة الجمعة يكون سهلاً وميسوراً في يوم السبت ، لأنه يوم العطلة بخلاف يوم الجمعة ، فإنه يوم شغل و وظيفة وتجارة في البلاد الغربية ، لا شك أن مثل هذه "الاجتهادات" بل التهوسات استغلال لنظرية المصلحة وهدم لأساس الدين ، لابد أن تقاوم وترد عليه ببراهن علمية قوية وأسلوب رصين وحكيم .

كما أن طائفة من المنتمين إلى العلم وأهله أفرطوا في اعتبار المصلحة في الأحكام هكذا طائفة أخرى منهم فرّطت في اعتبار المصلحة فلا تعيرها أهمية ولا تقيم لها وزناً في حال من الأحوال ، على رأس هذه الطائفة الظاهرية ، هؤلآء ينكرون حجية القياس في الشريعة فضلاً عن حجية المصلحة وينكرون بناء الأحكام الشريعة على مصالح العباد ، هنا ننقل بعض عبارات ابن حزم الظاهري الذي هو ترجمان الظاهرية ولسانهم وقلمهم ، يقول ابن حزم في كتابه "الاحكام في أصول الأحكام" .

قال أبو محمد علي بن أحمد ﷺ : ذهب القائلون بالقياس من المتحذلقين المتأخرين منهم إلى القول بالعلل واختلف المبطلون للقياس ، فقالت طائفة منهم : إذا نص الله تعالى على أنه جعل شيئاً ما سببا لحكم ما فحيث ما وجد ذلك السبب وجد ذلك الحكم ، وقالوا : مثال ذلك قول رسول الله ﷺ إذ نهى عن الذبح بالسن : "أما السن فإنه عظم "قالوا" فكل عظم فلا يجوز الذبح به أصلاً .

قال أبو محمد : وهذا ليس يقول به أبو سليمان رحمه الله ولا أحد من أصحابنا ، وإنما هو قول لقوم لا يعتد بهم في جملتنا كالقاساني وضربائه ، وقال هؤلآء : وأما ما لا نص فيه فلا يجوز أن يقال فيه : إن هذا لسبب كذا .

و قال أبو سليمان وجميع أصحابه رضي الله عنهم : لا يفعل الله شيئاً من

الأحكام وغيرها لعلة أصلاً بوجه من الوجوه ، فإذا نص الله تعالى أو رسوله ﷺ على أن أمراً كذا لسبب كذا أو من أجل كذا أو لأن كان كذا أو لكذا : فإن ذلك كله ندري أنه جعله أسباباً لتلك الأشياء في تلك المواضع التي جاء النص بها فيها ، ولا توجب تلك الأسباب شيئاً من تلك الأحكام في غير تلك المواضع البتة .

قال أبو محمد : وهذا هو ديننا الذي ندين الله تعالى به وندعو عباد الله تعالى إليه ونقطع أنه الحق عند الله ... (٤٩) .

وأما قولهم : إنه تعالى يفعل الأشياء لمصالح عباده ، فإن الله تعالى أكذبهم بقوله : ﴿ وننزل من القرآن * ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين * ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ فليت شعري أي مصلحة للظالمين في إنزال ما لا يزيدهم إلا خساراً ؟ بل ما عليهم في ذلك إلا أعظم الشرر وأشد المفسدة" (٥٠)، ص/١٢٣-١٢٤ .

قال أبو محمد : ثم جداهم هذا القول الفاسد إلى أن قال بعضهم بتضمين الصناع ، وقالوا : في ذلك صلاح للمستصنعين .

قال أبو محمد : وليت شعري ما الذي جعل المستصنعين أولى بالنظر لهم من الصناع ؟ إلا أن كان ذلك اتباعاً لمصلحة الكثرة ، وعلى قول الفساق الذين يقولون : قتل الثلث في صلاح الثلاثين صلاح : فهذه اقوال الشيطان الرجيم وأتباعه وما جعل الله تعالى قط جميع عباده أولى بالنظر لهم من مسلم واحد يضيع من أجلهم ، ولو شاء الله تعالى أن يأمرنا بقتل الأمة كلها في مصلحة واحد لكان ذلك حكمة (٥١) .

عبارات ابن حزم صريحة في أن الظاهرية تنكر القياس والعلة والحكمة في الأحكام فلا علاقة عندهم بين الحكم الشرعي والمصلحة وابن حزم قاس وجاف في كلامه ليس عنده لين وحكمة وقلمه أحدّ من سيف الحجاج ، كما هو معروف بين أهل العلم .

لا شك أن موقف الظاهرية هذا في الرأي و القياس و العلة و المصلحة

تفريط في المصلحة بل إنكار لها تماماً ، وقد اقتدى بابن حزم وأتباعه بعض أهل العلم في هذا العصر ، ينهجون نهج الظاهرية في إنكار المصالح في أحكام الشرع .

يقول الدكتور البوطي حفظه الله : قد ظهرت فعلاً جماعةً في بعض البلدان الغربية تزعم نشراتهم وكتبهم ان أحكام الإسلام لا علاقة لها بما يسمى مصالح الناس ، وإنما هي أحكام تقوم على التعبد المحض .. وهي فئة مشبوهة تسير وراء قيادة مجهولة نبعت أول أمرها في الأردن ، ثم استقر بها النشاط في لبنان (٥٢) .

الطوفي وابن حزم على طرفي النقيض في قضية المصلحة ، الطوفي مُفرط فيها وابن حزم مفرِّط والحق والعدل هو التوسط بينهما ، كما ذهب إليه جماهير الفقهاء مع الاختلاف بينهم في بعض قضايا المصلحة فهم لا يقدمون المصلحة على النص والإجماع ، كما ذهب إليه الطوفي ، ولا ينكرون المصلحة في الأحكام الشرعية ، كما ذهب إليه ابن حزم والظاهرية بل يعتبرون المصلحة ويبنون عليها الأحكام إذا كانت المصلحة غير معارضة للنص والإجماع والقياس الصحيح ودلخلة في مقاصد الشرع الخمسة ، ملائمة لقواعد الشرع كما بنى الصحابة والتابعون والأئمة المتبوعون كثيراً من الأحكام على المصالح المرسلة مثل جمع سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ القرآن بعد وفاة النبي الكريم ﷺ وعهد سيدنا أبي بكر الصديق بالخلافة إلى سيدنا عمر بن الخطاب مع أن النبي الكريم ﷺ لم يعهد بالخلافة لأحد من بعده وقضاء بعض الصحابة بتضمين الصناع وفتوى عمر بن الخطاب بقتل الجماعة بالواحد وغير ذلك من الأمثلة .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الهوامش :

(٣٥) كتب الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي في مقدمة تحقيقه على شرح مختصر الروضة -للطوفي : ج/١ ، ص/٢١ ، ويرجح الدكتور مصطفى زيد أن مولده - الطوفي - ٦٧٥هـ ، وإن ما وقع في كتاب ابن حجر تحريف مع أن الدكتور مصطفى زيد ، رجح قول

ابن حجر في ميلاد الطوفي في الطبعة الأولى من كتابه : "المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي : ص/٦٨-٦٩ .

(٣٦) راجع لتفصيل أحوال الطوفي : ذيل طبقات الحنابلة -لابن رجب : ٢/٣٦٦-٣٧٠ ، الدرر الكامنة -لابن حجر : ٢/٢٤٩-٢٥٢ ، شذرات الذهب -لابن عماد الحنبلي : ٦/٣٩-٤٠ ، المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي مصطفى زيد : ص/٦٧-١١٠ .

(٣٧) المصلحة في التشريع الإسلامي -للدكتور مصطفى زيد : ص/١١ .

(٣٨) شرح مختصر الروضة -للبوطي : ج/٣ ، ص/٢١٤-٢١٦ .

(٣٩) العجب من الشيخ عبد العال عطوه أنه كتب في تقدمته على شرح مختصر الروضة : ج/١ ، ص/١٦ ، أن نجم الدين الطوفي قد أثر عنه ... أنه يرى تقديم المصلحة على النص والإجماع ... لكن هذه المقالة لم ترد في شرحه لمختصر الروضة لا عند كلامه في المصلحة ولا في أي مكان آخر من كتابه المذكور ... مع أن مجمل نظريته في المصلحة موجود في مختصر الروضة في بحث الاستصلاح ، كما اعترف به محقق الكتاب الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي : ج/٣ ، ص/٢١٦ .

(٤٠) ملحق الرسالة (أيّ رسالة الدكتور مصطفى زيد) ماذا قال الطوفي في المصلحة : ص/١٨ .

(٤١) ملحق الرسالة : ص/٢٠-٢١ .

(٤٢) ملحق الرسالة : ص/٣٥ .

(٤٣) ملحق الرسالة : ص/٤٣ .

(٤٤) طالع للرد على الطوفي : المصلحة في التشريع الإسلامي -للدكتور مصطفى زيد : ص/١٥٧-١٦٦ ، ضوابط المصلحة الشرعية -للدكتور سعيد رمضان البوطي : ص/٢٠٢-٢١٥ ، أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها : ص/١٩٦-٢١٩ .

(٤٥) ضوابط المصلحة -للبوطي : ص/١٧٤. (٤٦) المدخل الفقهي العام -للزرقاء : ج/١ ، ص/١١٧.

(٤٧) تعليل الأحكام -لمصطفى شلبي : ص/٣٧٨-٣٧٩ .

(٤٨) مقالات الكوثري : ص/١٦٤-١٦٥ .

(٤٩) الأحكام في أصول الأحكام -لابن حزم : ج/٨ ، ص/٧٦-٧٧ .

(٥٠) نفس المرجع : ج/٨ ، ص/١٢٣-١٢٤ .

(٥١) نفس المرجع : ج/٨ ، ص/١٢٩ .

(٥٢) ضوابط المصلحة -للبوطي : ص/٧٤ .

القضايا المعاصرة في تعليم المرأة

[ه/الأخيرة]

بقلم : الأستاذ محمد صادق حسين
دار المعارف الإسلامية ، شيتا غونغ (بنغلاديش)

۞ الآراء المضادة في تعليم المرأة ومناقشتها :

وقد تكلم على هذه المسألة بكلام حسن فيه استطراد ، الشيخ محمد عطية سالم ، حيث قال : "أما تعليم النساء ؛ فليس محل خلاف ، والواقع أن هذه المسألة واضحة المعالم ، إذا نظرت كالآتي ، بما معناه :

لا شك أن العلم من حيث هو خير من الجهل ، والعلم قسمان : علم سماع وتلقٍ ، وهذه سيرة زوجات رسول الله ﷺ ، وعائشة رضي الله عنها كانت القدوة الحسنة في ذلك في فقه الكتاب والسنة ، وكم استدركت على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وهذا مشهور ومعلوم في الأوساط العلمية ، والثاني : علم تحصيل بالقراءة والكتابة ، وهذا يدور مع تحقق المصلحة من عدمها ، فمن رأى أن تعليمهن مفسدة ؛ منعه ، كما روى عن علي ﷺ ، أنه مرّ على رجل يعلم امرأة الكتابة ، فقال : "لا تزد الشر شراً" .

وروى عن بعض الحكماء أنه رأى امرأة تتعلم الكتابة ، فقال : أفعى تسقى سما ، وأنشد الآتي :

ما للنساء والكتا ☆ بة العمالة والخطابة
هذا لنا ولهن منا ☆ أن يبتن على جنابه

ومثله ما قاله المنفلوطي :

يا قوم لم تخلق بنات الورى ☆ للدرس والطرس وقال وقيل
لنا علوم و لها غيرها ☆ فعلموها كيف نشر الغسيل
و الثوب و الإبرة في كفّها ☆ طرس عليه كل خط جميل

و هذا نظر إلى تعليمهن و موقفهن من زاوية واحدة ، كما قال الشاعر

الآخر :

كُتب القتل والقتال علينا ☆ وعلى الغانيات جوّ الذيول

مع أننا وجدنا في تاريخ المرأة نسوة شاركن في القتال ؛ حتى عائشة رضي الله عنها ، كانت تسقى الماء ، وأم سُلَيم والربيع بنت معوذ وغيرهم رضي الله عنهن يُداوين الجرحى (١) ، إذ لا يؤخذ قول كل منهما على عمومه، ثم قال الشيخ : ويجب أن تكون النظرة لهذه المسألة على ضوء واقع الحياة اليوم ، وفي كل يوم ، وقد أصبح تعليم المرأة من متطلبات الحياة ، ولكن المشكلة تكمن في منهج تعليمها وكيفية تلقيها العلم (٢) .

سنتحدث عن هذا الموضوع ، -- إن شاء الله عزّوجل -- ونحاول أن نعرض لها حلولاً لا تعارض الإسلام وشريعته الغراء ، هذا لأن الإسلام ، دين كامل شامل ، وصالح لكل زمان ومكان ، وصدق الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ... ﴾ [سورة المائدة/٣] ، كما أعطى المرأة حق التعليم والتربية ، بل حث عليه في معظم الأحيان ، وسن لذلك رسول ﷺ سنة حسنة ، ومثل له الأسلاف الصلحاء خير تمثيل على مر العصور ، فكيف نمتنع عنه ؟ اتكاءاً على بعض الأسباب الخارجية التي لا تنبثق إلا من ضعف العقيدة ، وانحطاط الفكرة السامية ، وذهنية سوء التمثيل للإسلام ، وقلة الاحتفال بالعلوم العملية المفيدة ، ومن هذه النوافذ فقدت رسالة الإسلام تأثيرها وقوتها وخلودها في قلوب غير المسلمين ، وضعفت ثقتهم به ، وفي لفظ مؤرخ أوربي : "بدأ الإسلام بالانحطاط ، لأن البشرية بدأت تشك في صدق القائمين بتمثيل الديانة الجديدة" (٣) ولهذه الذهنية يقول الباحثون : يتجنى على الإسلام أعداؤه ويقلدهم الجاهل والدعي ، فيقولون : إثماً ويدعون باطلاً ، وينسبون إلى الدين ما هو منزه عنه ، زاعمين أنه يحول بين المرأة وبين العلم ، ولا يجعل لها نصيباً من العلوم الدينية ، والدنيوية ، ويحرم عليها القراءة والكتابة (٤) : ﴿ يُخادعون الله والذين آمنوا * وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ .

[سورة البقرة/٩]

قد أثار الشيخ أبو عبيدة بحثاً طويلاً بهذا الصدد ، قال فيه : "نازع بعضهم في هذا الإقرار مستدلاً بحديث" ، لا تنزلوهن الغرف ، ولا تعلموهن الكتابة ، وعلموهن الغزل وسورة النور ، [أخرجه الحاكم في المستدرك : ٣٩٦/٢ ، والطبراني في الأوسط] ، وهذا الحديث الأخير فيه محمد بن إبراهيم الشامي ، قال الدارقطني : "كذاب" [انظر : مجمع الزوائد : ٩٣/٤ ، والأجوبة الرضية : ق/١٣٤ - للسخاوي] وعلى فرض صحته ؛ فهو محمول على من يخشى من تعليمها الفساد ، أعني : تعليم القراءة والكتابة (٥) ، كما قال العلامة القرطبي رحمه الله بعد سرد الحديث ، قال علماؤنا : "وإنما حذرهم النبي الكريم ﷺ ذلك لأن في إسكانهن الغرف تطلعاً إلى الرجال ، وليس في ذلك تحصين لهن ولا تستر ... و هو كما قال رسول الله ﷺ : "ليس للنساء خير لهن من ألا يراهن الرجال ولا يرين الرجال ... وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سبباً للفتنة" (٦) ، وإلا فالنساء من دون الصحابيات إلى وقتنا هذا يتعلمن القراءة والكتابة ، وقد مرّ بنا جماعة من المحدثات والراويات نُعتن بـ "الخط الحسن" بل ذكر المؤرخون أمثال ابن الكثير وابن علي الجوزية وغيرهما في ترجمة فاطمة بنت الحسن بن علي البغدادي العطار ، أم الفضل المعروفة بـ "بنت الأقرع" [ت/٤٨٠هـ] أن المثل كان يُضرب بحسن خطها ، قالوا : جوّد الناس على خطها لبراعة حسنة ، وهي التي نُدبت لكتابة كتاب الهدنة إلى طاغية الروم من جهة الخلافة ، وبكتابها يضرب المثل (٧) .

وقد ذكر صاحب "التراتيب الإدارية" إجماع السلف على مشروعية تعلم النساء الكتابة ، قال : أورد القلقشندي : أن جماعة من النساء كن يكتبن ، ولم ير أن أحداً من السلف أنكر عليهن ، وقال عبد الواحد المراكشي : إنه كان بالمربض الشرقي في قرطبة سبعون ومائة امرأة ، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي (٨) .

أما ما يخشى عليها من الاتصال عن طريق الكتابة ؛ فقد وجد ما هو أقرب وأسرع منها لمن شاءت ، وهو الهاتف في البيوت ، وآلات الاتصال

والتعلق الحديثة مثل "إنترنيت" ، فإن كلها في متناول المتعلمة والجاهلة" فالمدار في ذلك كله على الحصانة التربوية والمتانة الدينية والقوة الأخلاقية (٩) التي تتعلق بالوالدين والمربين والمسئولين عنها ، وبعد ذلك : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وُسعها * لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [سورة البقرة/٢٨٦] ، ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاءً * وأما ما ينفع الناس * فيمكث في الأرض * كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ [سورة الرعد/١٧] ، ﴿ ألا له الخلق والأمر * تبارك الله رب العالمين ﴾ [سورة الأعراف/٥٤] .

فلأجل ذلك أن الرجال الذين يمنعون التعليم النسوي أو تعليم المرأة رأساً برأس اعتماداً على خطورة التعليم المختلط ، لا يؤبه بأقوالهم ، ولا تستحق فلسفتهم الحيادية المتطرفة بالمبالاة ، بل كل ما يعرضون من الدلائل في تأييد أقوالهم ، فيه نظر : كما جاء في قرارات المجلس التعليمي تحت إشراف علماء باكستان ، في مقدمتهم ، العلامة المفتي محمد شفيع ، والعلامة الشيخ يوسف البنوري رحمهما الله تعالى : إن التعليم النسوى شئ مستقل ، والتعليم المختلط شئ آخر ، لا يريد الخلط بينهما إلا عشاق أوربا وأتباع حضارتها العلمانيون ، الذين يحبون بث التعليم المختلط المبغوض في البلاد من وراء ستار التعليم النسوى ، فعلى المسلمين أن يبثوا التعليم النسوي مراعين حدود التعاليم الإسلامية ويحققوا في ضوء الكتاب والسنة بكل رحابة الصدر ، كي يتربى الجيل الجديد على تعليم صحيح وتربية سليمة ، ويمتلك المثل العليا ويهتم بالمبادئ والقيم ومكارم الأخلاق (١٠) .

لكن كيف تتعلم المرأة في العصر الراهن ؟ وما هي كيفية تعليمها في هذه الأيام ؟ هل هناك أشباه ونظائر لها عبر القرون الإسلامية ؟ وحلول غير معارضة لشريعة الإسلام الغراء ؟ حتى تحتل المرأة مكانتها المنشودة ، وتتمكن من أداء مسئوليتها المتطلبة منها ، ها هو ذا ما نبحث عنه في الصفحات القادمة .

❁ كيفية تعليم المرأة في العصر الراهن : أما كيفية تعليم المرأة ؛ فإن

مشكلتها إنما جاءت من الاختلاط في مدرجات الجامعات وفصول الدراسة في الثانويات في فترة المراهقة وقلة المراقبة إلى حد كبير ، وفي هذا يكمن الخطر منها وعليها في آن واحد ، فإذا كان لابد من تعليمها ؛ فلابد أيضاً من المنهج الذي يحقق الغاية منه ، ويضمن السلامة فيه (١١) ، وبيان المنهج سيأتي -- إن شاء الله تعالى -- ، لكن كيف يحقق هذا المنهج ؟ لأن كيفية تحقيق المنهج المنشود في التعليم النسوي هي ما يتضمن سلامة هذا المنهج المنشود ورواءه ومتانته ، حيث تتعلم المرأة متحلية عن جميع خصائصها الطبيعية ومحافظة على التزاماتها الإيمانية .

ولا غرو ، أن كيفية التعليم النسوي أو تعليم المرأة أو تحقيق منهجه كل ذلك ينبغي أن يكون عرضها في ضوء أحكام النساء الشرعية ، فقال الحافظ عبد الرحمن بن علي الجوزية رحمه الله موجزاً بهذا الصدد : "المرأة شخص مكلف كالرجال ، فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها ، لتكون من أدائها على اليقين .

فإن لم يكن [كذا في الأصل والصواب : فإن كان] لها أب ، أو أخ ، أو زوج، أو محرم يعلمها الفرائض ، ويعرفها كيف تؤدي الواجبات كفاها ذلك ، و إن لم يكن ، سألت و تعلمت ، فإن قدرت على امرأة تعلم ذلك ، تعرفت منها ، وإلا تعلمت من الأشياخ وذوى الأسنان من غير خلوة بها ، وتقتصر على قدر اللازم ، ومتى حدثت لها حادثة في دينها ، سألت عنها ، ولم تستح ، فإن الله لا يستحيي من الحق (١٢) .

ورأى بعض المحقّقين في هذه العبارات : أما إذا وجدت أماكن خاصة بهن كما هو اليوم من وجود المدارس والكليات خاصة بهن ، فلا مانع من أن تدرس على غير المذكورين لانتفاء الخلوة ، ولا مانع كذلك من التوسع في دراستها لتتولى تدريس بني جنسها وغير ذلك من المهن الملائمة لطبيعتها (١٣).

نظراً إلى أمثال هذه العبارات بما فيها من الآراء والأحكام ، لنا أن نقسم كيفية تعليم المرأة إلى ثلاثة أقسام ؛ حيث تتمكن المرأة خلالها من الحصول

على حقها العلمي والتعليمي محتفظة بجميع صفاتها النسوية ، وهي كما يلي بالإيجاز :

☆ الكيفية الأولى : التعليم الأسري .

☆ الكيفية الثانية : التعليم المجمعي . ☆ الكيفية الثالثة : التعليم المدرسي.

ونحاول أن يكون بيانها من غير تفصيل ممل ولا إيجاز مخل .

☆التعليم الأسري : أعني أن المرأة تدرس في الأسرة ، تتعلم من زوجها ، أو أبيها ، أو أخيها ، أو ولدها ، وغيرهم من محارم الأسرة ، لا تخرج من بيوت الأسرة ، إذا احتاج إلى امرأة معلمة أو شيخ فان لا يتطلع إلى امرأة من غير أفراد الأسرة ، تدعوهما إلى البيت ، ثم تأخذ عنهما العلم ، كما فعل النبي الكريم ﷺ ، فكان يعلم أمهات المؤمنين ، لما احتاج إلى كاتبة ، دعا الشفاء رضي الله عنها إلى البيت لتعليم حفصة رضي الله عنها الكتابة ، استناناً بسنة النبي الكريم ﷺ ، هكذا مثل السلف الصالح للتعليم الأسري خير تمثيل عبر القرون ، وهم قدموا لنا نماذج رائعة وأمثالاً أنيقة في هذا المجال ، هناك نقدم بعض نماذج التعليم الأسري :

☆ صورة من عناية عالم بزوجته : قال ابن الحاج : سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله ، يقول : لما أن تأهلت ، قلت للزوجة : لا تتحركي ولا تتكلمي بكلمة في غيبتي إلا وتعرضينها على حين آتي ، لأني مسئول عن تصرفك كله ، كنت مسئولاً عن نفسي ليس إلا وأنا الآن مسئول عن نفسي وعنك ، فأُسأل عن عشر صلوات ، ثم كذلك في جميع المأمورات ... ثم علق عليه بقوله : "فانظر رحمك الله تعالى وإيانا ، كيفية نظرهم إلى تخليص ذممهم ؛ فهؤلاء هم الذين فهموا معنى قوله ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وعملوا به (١٤) .

☆ أسرة ابن حجر العسقلاني رحمه الله : خير نموذج للتعليم الأسري أسرة ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ، فيها كثير من طالبات علم الحديث النبوي ، هذا الإمام العلم العلامة كانت له عناية فائقة بتدريس زوجاته وبناته الحديث النبوي ، و برز في أسرته و عائلته غير واحدة ممن أتقنت هذا العلم ،

واشتهرت بالرواية ، وإليك بيان ذلك بالإيجاز :

أخته : ست الركب بنت علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلانية ، كانت قارئة كاتبة ، أعجوبة في الذكاء ، أثنى عليها ، قال : "كانت أمي بعد أمي"، وقال : "تعلمت الخط ، وحفظت الكثير من القرآن ، وأكثرت من مطالعة الكتب فمهرت في ذلك جداً" (١٥) .

زوجته : أنس ابنة القاضي كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز ناظر الجيش ، كانت أيضاً محدثة كبيرة ، وقد حدثت بحضور زوجها وقرأ عليها الفضلاء ، كذلك ابنته زين خاتون [ت ٨٣٣هـ] ، ابنته فرحة [ت ٨٢٨هـ] ، وبناته فاطمة وعالية ، ورابعة ، كن أيضاً من أعلام النساء ، ولم تشتهر بنات الحافظ ابن الحجر بالرواية ، كما اشتهر بها والدهن وأمهن ، وذلك لوفاة معظمهن في سن مبكرة في الطاعون .

هؤلآء هن بنات الحافظ ابن حجر ، وهذه هي زوجته ، فقد كن جميعاً رحمهن الله ممن له عناية بالحديث النبوي ، وشارك بعضهن في التدريس والرواية ، وذلك بسبب حرص الحافظ عليهن ، مع كثرة أشغاله وتعدد مجالسه ونفاسة مؤلفاته ، فلم يجعله ذلك كله مقصراً في تعليم أسرته وإرشادها إلى علم الحديث النبوي (١٦) .

☆ عناية القاضي ببناته وحفيداته : جاء في مقدمة كتاب "المعلمين" لابن سحنون ، أن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته .. قال عياض : فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم ، وكذلك كان يفعله قبله فاتح صقلية أسد بن الفرات بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة .

وروى الخشن أن مؤدباً كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب ، وكان يعلم الأطفال بالنهار ، والبنات في الليل (١٧) ، يقول السلف : العالم أولى من يحمل أهله ومن يلوذ به على طلب المراتب العالية : فيجتهد في ذلك جهده ، فإنهم آكد رعيته ، وأوجبهم عليه وأولاهم به (١٨) .

☆ التعليم المجمعي : المراد بالتعليم المجمعي أن المرأة تحضر في مجامع الخير ومحافل العلم محتفظة بجميع لوازمها الشرعية من اللباس والحجاب ، فتستفيد من تعاليم هذه المجامع والحفلات العلمية ، التي قد تنعقد في المساجد أو خارجها ، كما كانت في العهد النبوي ﷺ ، كما أفادنا الحديث النبوي (١٩) ، فكان ﷺ يأمرهن حتى الحيض منهن والبنت البالغة ، والتي قاربت البلوغ أن يشهدن مجامع الخير والعلم ، وأبقى على هذه السنة النبوية أرباب العلم والخير من المسلمين والمسلمات على مر العصور ، فجاء في كتب السير والتراجم : أن أم الخير "الحجازية" تصدرت حلقات وعظ وإرشاد المسلمات بجامع عمرو بن العاص في القرن الرابع الهجري (٢٠) .

وذكر صاحب "التراتيب الإدارية" ، قول الشيخ عطية محمد سالم : "وقد سمعت في الآونة الأخيرة أنه توجد امرأة تدرس في المسجد النبوي الحديث السيرة ، واللغة العربية ، وهي شنقيطية" (٢١) كذلك سجل تاريخ الإسلام كثيراً من ذكر المجامع والحفلات التي كان يلقي فيها العلماء والصلحاء المحاضرات في المواضيع الدينية ، والعناوين العلمية الضرورية ، ويستفيد منها الرجال والنساء معاً ، وكان الرجال يجلسون أمام الخطباء أو المحاضرين والنساء يجلس خلف الحجاب من الستار أو الرواق ، حيث يسمعن صوتهم من وراء الحجاب ، فقال لي شيخ الحديث العلام إحسان الحق حفظه الله عزّوجل : إن نخبة وجيهة من أعلام الهند أمثال الشيخ حسين أحمد المدني ، والشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي ، والشيخ أشرف علي التهانوي وغيرهم رحمهم الله ، كانوا يلقون محاضرات علمية وخطباً دينية في مجامع عامة ، حيث يستفيد منها الرجال والنساء معاً ، ورأيت بأم عيني حضور النساء المسلمات المتلفعات بمروطهن في مركز الجماعة الدعوية ، بلكناؤ (الهند) ، وحفلات الجماعة الإسلامية المعروفة بشيتاغونغ (بنغلاديش) ، حيث يسمعن محاضرات الخطباء والمفكرين الإسلاميين ، وخطب العلماء الصالحين في عناوين الوعظ و الحكمة ، و التفسير بصفة خاصة ، كذلك

يحصلن على كثير من العلوم الدينية واللازمة من العلوم العصرية .

☆ التعليم المدرسي : أما الصورتان المذكورتان في التعليم النسوي ، فهما معروفتان ومتواجدتان إلى الآن بين الأوساط العلمية ، ولم تزل ولا تزال المرأة المسلمة تستمد منهما استمداداً علمياً ، حسبما أتيحت لها هذه الفرصة ، لكن اليوم تكثر فيه البيوتات والأسر التي لا تتوافر فيها هذه الفرصة لبناتها ونسائها ، هل تحرم هذه البنات والنساء من حق التعليم والتربية ؟ والإسلام دين خالد ، ونظام كامل شامل ، يحرص كل وقت على العناية بالمرأة -- بنتاً و زوجةً و أماً -- ويحث على تثقيفها وتعليمها ورفع مستواها مع الاحتفاظ بجوهرها الكريم وشخصيتها الأصيلة في ظل هذا الدين والقيم والأخلاق والمثل العليا ، فنشأت صورة ثالثة للتعليم النسوي في العصور الأخيرة ، وهي التعليم المدرسي .

وفي القرون المتأخرة عامة والقرن العشرين خاصة ، بدأ طور الارتقاء العلمي ، وازدهرت دوائر العلم الجديد ، وكثرت مجالات العلم والمعارف الحديثة ، فتوسعت مراكزها وتقدمت .

انطلاقاً من هذا الارتقاء جعل ينشأ كثير من المدارس والكليات والجامعات المختلطة في الأقطار الإسلامية على طراز غربي ، فتوزعت أفكار الأمة بين الفكرة الغربية و الفكرة الإسلامية ، بل تصارعتا في بعض الأحيان (٢٢) ، إحداهما لا تجد حرجاً في اختلاط الأبناء بالبنات في المدارس والكليات ، وثانيتهما ترى أن الاختلاط باسم التعليم هو سم لهذه الشجرة الطيبة التي خلقها الله تعالى لتثمر قطوفاً دانية ، و تعطى فروعاً باسقة ، و ظلالاً وارفة ، تستظل بها الأجيال والأمم (٢٣) .

۞ مدرسة البنات :

في هذه الأوضاع الحرجة المتصارعة نشأت تساؤلات في كثير من القلوب الإسلامية غير الحيادية ، فان لم يجز تعليم البنات أو النساء في المدارس المختلطة ، فهل يجوز تعليم البنات و النساء في المدارس والكليات الخاصة

بهن ، أم لا ؟ فاهتمت وزارة المعارف لحكومة أفغان المعاصرة بهذه القضية ، واستفتت بهذا الصدد جمعية علماء الهند ، فأجاب عنه المفتي الأعظم الشيخ محمد كفاية الله الدهلوي ، وهو كما يلي :

"إن تأسيس مدارس المرأة أو معاهد البنات وإجراءها وإتيان البنات فيها والتحاقهن بها للتعليم ، كذلك تعليم المرأة الكتابة والعلوم والفنون الملائمة لطبيعة جنسها كلها مستحسنة ، وموافقة مع أمور الشريعة ، لأنها أي مدارس البنات بنيت وقامت وتأسست على بناء التعليم وما يتعلق به من تيسير وسائل التعليم وتشكيلها ، وقد ثبت عن الأحاديث اجتماع النساء للتعليم في مكان واحد ، لذا عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى باباً مستقلاً على هذا الموضوع ، وهو : "باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم" (٢٤) ، وأتى فيه بتلك الأحاديث التي تدل على ثبوت اجتماع النساء في مكان للحصول على العلم ، ومن التجارب الملموسة أن التعليم الاجتماعي يفيد أكثر مما يفيد التعليم الفردي ، ولا حرج في أن تشكيل المدارس للبنات أو المرأة لم يكن في القرون الأولى ، لأن مدارس الرجال أو الأبناء -- أيضاً -- لم تكن تتواجد في العصر الماضي ، مع ذلك أن علماء الأمة المحمدية ، يقولون بجوازها قاطبة وما زالوا فيها يتعلمون ويعلمون" (٢٥) .

ثم أخذت مدارس البنات وكليات النساء تنتشر في البلدان والممالك الإسلامية ، وأول مدرسة حكومية للبنات في المملكة العربية افتتحت رسمياً سنة ١٣٨٠هـ ، وأول كلية للبنات بالرياض ، أنشئت عام ١٣٩٠هـ (٢٦) .

يقول تاريخ الانطلاقة التعليمية في المملكة :

وقد تأخر فتح مدارس البنات في مكة عن مدارس البنين وتعلل الرئاسة العامة لتعليم البنات في دليلها الإحصائي لتعليم الفتاة السعودية ، ذلك بقولها إن بعض أفراد المجتمع كانوا يعتبرون العلم مفسدة للمرأة .

وفي ربيع الآخر من عام ١٣٨٩هـ صدر مرسوم ملكي كريم ، يقضي بوجوب فتح مدارس لتعليم البنات في المملكة ، وقد نص النطق الملكي الكريم

على ما يأتي :

"الحمد لله وحده وبعد ، فلقد صحت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية من قرآن وعقائد وفقه ، وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية كإدارة المنزل والتربية والتأديب مما لا يخشى منه عاجلاً أو آجلاً ، أي تغيير على معتقداتنا لتكون هذه المدارس في منأي عن كل شبهة من المؤثرات التي تؤثر على النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم ... " .

وهكذا تشكلت في المملكة هيئة مستقلة عن وزارة المعارف لتشرف على تعليم المرأة ، وتعرف كما أسلفنا " بالرئاسة العامة لتعليم البنات" وانتظم سير الدراسة في تلك المدارس عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م (٢٧) .

❁ شروط المنهج التعليمي لمدارس البنات :

لكن تشريع المنهج التعليمي في هذه المدارس النسوية بحاجة إلى شروط دقيقة ، كما تختلف هذه المدارس عن المدارس العامة أو المختلطة فكراً وأصولاً ومنهجاً ، حيث يكون منهجها منهجاً إسلامياً ، وفكرها فكراً صحيحاً نابعاً من ينابيع الكتاب والسنة ، وأصولها أصولاً سديدة لا تعارض شريعة الإسلام الغراء ولا طبيعة المرأة المسلمة النسوية ، وإلا لا طائل في تشريع سفاسف الأمور ، ولا جدوى في بناء القصور والمباني الشامخة .

أما الشروط التي يجب أن تتوفر في تأسيس المدارس النسوية ، أو تشريع المنهج التعليمي في مدارس البنات ، فأشهرها :

١- عدم الاختلاط : إن الإسلام لا يتيح مسوغة الاختلاط الأجنبي في مجال من مجالات الحياة ، فضلاً عن مجال التعليم والتربية ، الذي هو أجدر مجال بأن يتربى عليه جيل جديد ، نزيه ، صحيح سليم ، ضد الاختلاط الذي يلعب دوراً بالغاً في تكدير صفاء الجيل وسلامته ، هذه حقيقة ناصعة ثابتة ، اعترف بها الأمم الأخرى غير المسلمة ، والحق ما شهد به الأعداء ، فكثير من المدارس الراقية في بريطانيا تحرص على عدم الاختلاط بين الجنسين

وترفض خمس من المدارس تحولها إلى مختلطة ، هذه المعلومة وردت ضمن خبر ، بعثته وكالة أنباء "رويتر" عن المرأة في بريطانيا ، فاستطرد صاحب التقرير قائلاً : إن هذاالخبر ، يقول : ليس المسلمون وحدهم الذين ما زالوا يدعون إلى عدم الاختلاط ، فما زالت هناك حتى الآن مدارس وجامعات ، في أوربا وأمريكا ، ترفض الاختلاط (٢٨) .

لذا لا يجوز الاختلاط في أي صورة من الصور بين جدران مدارس البنات ، حتى إذا جاء رجل قريب لزيارة قريبة محرمة طالبة في المدرسة ، أو مسئول إداري ، أو ضيف مرموق تفضل لزيارة المدرسة ، لا تتاح لأحد منهم فرصة الدخول في محيط المدارس النسوية ، إلا عند العذر الشرعي أو الصورة الطارئة ، هذا لما حدثت حوادث الاختلاط كثيراً عن هذه الطريق بين جدران المدرسة النسوية (٢٩) .

٢- نظام التعليم : لا ريب في أن نظام التعليم في مدارس البنات أو المدارس النسوية ، يجدر بأن يخالف نظام التعليم في مدارس البنين ، نظراً إلى طبيعة الجنسين ، لأن العلوم بعضها واجب في حق المرأة ، وبعضها مستحب ، وبعضها مباح ، فعلى أهل الحل والعقد في إدارة المدارس النسوية أن يخطوا في هذا الصدد بالأهم فالمهم ، فقال العلامة المفتي كفاية الله رحمه الله في فتواه المنوط بالتعليم النسوي : "تعليم الفرائض الإسلامية والواجبات الشرعية سواء كان من العبادات أو من المعاملات فرض ، وتعليم العلوم المستحبة مثلاً سير الصلحاء والعلماء والروايات التاريخية والأخلاقية التي تجدى عبراً ودروساً ، تعليمها مستحب ، وتعليم الفنون المباحة مباح" (٣٠) .

وينبغي أن لا يستهدف من التعليم النسوي أي غرض من أغراض التجارة ، وكسب المعاش والأعمال الشاقة التي تضطرها إلى الخروج من البيت ، وتخل في أمورها الهامة الأصيلة ، لأن الله تعالى ألقي هذه المسئولية على كواهل الرجال ، لا على النساء (٣١) ، حيث قال عزّوجل : ﴿ الرجال قوامون على النساء .. ﴾ [سورة النساء/٣٤] ومسئولية النساء هي تربية الأولاد وإطاعة

الزوجة وإدارة الشئون البيتية ، أما إذا كانت عندها فرصة العمل بعد أداء هذه المسئوليات ، فكان من اللازم أن يكون نظام تعليمها قاصراً على النواحي التي يحسن أن تعمل فيها كالتعليم والطب وكفى .

٣- الحجاب الشرعي : إن الأوقات التي تقضيها الطالبة إياباً وذهاباً بين قاعات الدروس ، أو بين المدارس والبيوت ، تقضيها مراعيات وملتزمات بالحجاب الشرعي ، فينبغي أن يكون لباسها لباس المرأة المسلمة الخالصة ، لأن الإسلام قد حرم على المرأة أن تلبس من الثياب ما يصف وما يشف عما تحته من الجسد ، ومثله ما يحدد أجزاء البدن ، وبخاصة مواضع الفتنة منه ، والثديين والخصر والإلية ونحوها (٣٢) ، وفي حجاب المرأة المسلمة ، يقول الشيخ ناصر الدين الألباني :

"إن تتبعنا الآيات القرآنية ، والسنة المحمدية ، والآثار السلفية في هذا الموضوع الهام ، قد تبين لنا أن المرأة إذا خرجت من دارها وجب عليها أن تستر جميع بدنها ، وأن لا تظهر شيئاً من زينتها ، حاشا وجهها وكفيها بأي نوع ، أوزى من اللباس ، ما وجدت فيه الشروط الآتية :

١- استيعاب جميع البدن إلا ما استثنى .

٢- أن لا يكون زينة في نفسه .

٣- أن يكون صفيقاً لا يشف .

٤- أن يكون فضفافاً غير ضيق .

٥- أن لا يكون مبخّراً مطيباً .

٦- أن لا يشبه لباس الرجل .

٧- أن لا يشبه لباس الكافرات .

٨- أن لا يكون لباس شُهرة (٣٣) .

٤- التربية الإسلامية النسوية : ثم يجب أن يكون هناك في جميع مستويات المنهج التعليمي لمدارس البنات ، تربية إسلامية نسوية تعد الطالبة لوظيفتها المستقبلية وتعلمها ما تحتاج إلى تعلمه من شئون هذه الوظيفة من إدارة شئون المنزل ورعاية شئون الأطفال والطرق المثلى لتربيتهم ، وتحول المشاعر الفطرية للفتاة نحو الأمومة إلى تهيوء عملي لاستقبال حياة الزوجية المرتقبة بدلاً

من أن تحولها إلى تبذل وسعى وراء الإثارة والفتنة في محيط الاختلاط بالشباب مع الانصراف عن وظيفة الأمومة في نفس الوقت .

فعلى المسئولين والمسئولات عن أمور البنات وأهل المدارس النسوية أن يعنوا بتربية الفتيات المسلمات تربية إسلامية صحيحة ، وتثقيفهن الثقافة الشرعية النافعة ومنع المجلات الخليعة أن تتسرب إليهن ، وتفسد عليهن أخلاقهن ، ونحو ذلك من الوسائل المبذولة في العصر الحاضر ، مما يمكن استعمالها في الشر والخير : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [سورة الأنبياء/٣٥] .

بمثل هذا وذاك يمكن أن يوجد جيل من النساء المؤمنات المتأهلات من كل ناحية ، اللاتي إذا سمعن مثل قول الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي ! قل : لأزواجك وبناتك * ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ [سورة الأحزاب/٥٩] ، بادرن إلى امتثال أمره ، كما فعلت نساء الأنصار رضي الله عنهن حين نزل قوله عزّوجل : ﴿ ... وليضربن بخمورهن على جيوبهن ﴾ [سورة النور/٣١] ، بادرن فاختمرن بما تيسر لهن من الأزر (٣٥) ، كما أفاد ذلك الحديث النبوي الشريف (٣٦) .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الهوامش :

---

(١) راجع : الحديث المروي عن البخاري في صحيحه : ٤٠٣/١ .

(٢) انظر : عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١١٧-١١٨ .

(٣) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص/١٣٣ .

(٤) راجع : أدب الإسلام في نظام الأسرة : ص/١٢٦ .

(٥) عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١١٤ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن : ١٢١/٢٠-١٢٢ .

(٧) انظر : المنتظم : ٦١٤/٩ ، والبداية والنهاية : ١٤٣/١٢ .

(٨) المرأة ومكانتها : ص/٥٧ ، بحرواية عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١١٤ .

(٩) انظر : عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١١٨ .

(١٠) انظر : عصر حاضر مين إسلام كيسے نافذ هو ؟ -للأستاذ تقي عثماني : ص/٢٨٥.

(١١) انظر : عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١١٨ .

(١٢) كتاب أحكام النساء -لابن علي الجوزية : ص/١٣١ .

(١٣) انظر : هامش كتاب أحكام النساء : ص/١٣١ .

(١٤) المدخل : ٢١٠/٢ ، بزواية عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١٢٠ .

(١٥) انظر : نفس العناية : ص/١٢٦ .

(١٦) انظر : عناية النساء بالحديث النبوي : ص/١٢٩ .

(١٧) المصدر السابق : ص/١٣١ . (١٨) المصدر السابق : ص/١٢٢ .

(١٩) الحديث قد سبق ، أخرجه البخاري : ٥١/١ ، ومسلم : ٢٩١/١ .

(٢٠) عودة الحجاب : ص/٢٨٩ . (٢١) عودة الحجاب : ص/٢٩٣ .

(٢٢) أحدث الكتب وأروعها في هذا الموضوع : الصراع بين الفكرة الإسلامية ، والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية -لأبي الحسن علي الحسني الندوي ، دار القلم - الكويت ١٤٠٥هـ .

(٢٣) انظر : قرارات المجلس العلمي المتحققة تحت إشراف الشيخ المفتي محمد شفيع والشيخ يوسف البنوري ، المنشورة في كتاب : "عصر حاضر مين إسلام كيسے نافذ هو ؟ ص/٢٨٥ .

(٢٤) صحيح البخاري : ٢٠/١ .

(٢٥) راجع : كفاية المفتي : ٣٥/٢-٣٦ .

(٢٦) انظر : الانطلاقة العلمية ، في المملكة العربية السعودية -لعبد الله عبد المجيد بغدادي : ص/٢٦٩ .

(٢٧) المصدر السابق : ص/٢٧٠ .

(٢٨) انظر : مجلة "النور" ع/١٥١ ، جمادى الأولى ١٤١٨هـ السنة ١٥ .

(٢٩) انظر : إسلامي معاشرة مين عورت كا مقام -لأمين أحسن إصلاحي : ص/٣٨ .

(٣٠) كفاية المفتي : ٣٦/٢ .

(٣١) راجع : عصر حاضر مين إسلام كيسے نافذ هو ؟ ص/٢٨٥ .

(٣٢) راجع : الحل والحرام في الإسلام -للدكتور يوسف القرضاوي : ص/٨٣ .

(٣٣) حجاب المرأة المسلمة -لمحمد ناصر الدين الألباني : ص/١٣ .

(٣٤) انظر : وظيفة المرأة المسلمة في عالم اليوم -لخولة عبد اللطيف العتيقي : ص/٩٨ .

(٣٥) حجاب المرأة المسلمة : ص/٨ .

(٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه : ٧٠٠/٢ .

من أعلام التاريخ :

جهود الإمام ولي الله الدهلوي
في توحيد صفوف المسلمين

د/خليل عبد الرحمن راز
(مدير إكاديمية إقبال والإمام ولي الله الدهلوي - دلهي)

لا شك في أن المسلمين في العالم بصفة عامة وفي شبه القارة الهندية بصفة خاصة ، متعرضون للافتراق والتشتت منذ قرون عديدة ، ومن البديهي أن المجتمع الإسلامي أكثر تخلفاً وتقهقراً من المجتمع غير الإسلامي اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً منذ فترة طويلة ، وقد تساءل الشاعر الأوردي الكبير أسد الله خان غالب في القرن التاسع عشر الميلادي ، وقال : ولماذا أصبحنا نحن المسلمين اذلاء حالياً بينما قد كان بعض أسلافنا أشرف من النفوس القدسية الملكوتية في الماضي ، وقال شاعر آخر كذلك : و قد سلبت منا جميع المعالي والرتب فلا نملك سلاحاً مثل أسلحة السلطان محمود الغزنوي ، ولا نملك سلطة وقوة مثل سلطة الملك المغولي "جلال الدين أكبر" وقال إقبال حول تخلف المسلمين المعنوي : بأن حوانيت النشوة الروحية قد تم إغلاقها في الهند منذ ثلاثة قرون تقريباً .

وفي ليلة هذا الجهل والتخلف الظلماء ظهرت عبقرية تتلالؤ نوراً وشعورا وتضيئ جوانب المعرفة واليقين ، حتى تنورت المنابر والمحاريب واحتدمت المعارك بين الخير والشر ، ونعرف تلك الشخصية الفذة وأسرتها الكريمة باسم الإمام الشيخ ولي الله الدهلوي ، وأنجاله الكرام .

لقد كان الشيخ عبد الرحيم والد الإمام ولي الله معاصراً للملك المغولي الشهير "أورنغ زيب عالمغير" الذي تم تأليف الفتاوى الهندية (الفتاوى العالمكيرية) تحت إشرافه على أيدي نخبة من العلماء الجهابذة ، وكان رئيس

لجنة الإعداد والتأليف الأستاذ الملا نظام الدين ، مؤسس المنهج النظامي لمقررات معاهد الدراسات الدينية في شبه القارة الهندية ، وكان أحد أعضاء تلك اللجنة الشيخ عبد الرحيم والد الإمام الدهلوي .

ولد الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي في عام ١١١٤هـ/الموافق ١٧٦٣م ، وقد اجتازت سلطنة دلهي عدة مراحل عويصة وعشرات المواقف الحرجة من نشوب الحروب الطائفية ، واللامركزية خلال حياة الإمام ، نتيجة وفاة الملك المغولي "أورنغ زيب" ، ثم عدم تأهل أبنائه وخلفائه للحكم بعده فانغماسهم في الشهوات واشتغالهم بالملاهي والملذات وتورطهم في الحروب الأهلية ، وقد أدى ذلك إلى غارات الملك الإيراني نادر شاه في عام ١٧٣٩م التي دمرت دلهي تماماً بارتكاب جنوده المجازر البشعة فيها ، حتى قدم الإمام ولي الله باستشارة عديد من الشخصيات البارزة في دلهي طلباً إلى ملك أفغانستان "أحمد شاه أبدالي" لإنقاذ دلهي من غارات يشنها المراهتا والسيخ وقبائل الزط عليها بين حين وآخر ، وحين شرح الإمام ولي الله أوضاع تلك الأيام أنشد في ذلك البيت العربي التالي :

كأن نجوماً أومضت في الغياهب

عيون الإفاعي أو رؤوس العقارب

والغرض من بيان هذه الخلفية أن الوحدة الإسلامية قد تفرقت وتشتت خلال تلك الأيام ، وأصبحت حكومة دلهي لعبة الصبيان على ما عبر عنه الإمام ولي الله ، و ذلك يعني أن الوضع كان قد تلاءم وتأقلم لاستقبال الإنجليز الأجانب ، فإن الفاصل بين غارة نادر شاه على دلهي ، وبين انتصار القوات الإنجليزية في معركة بيلاسي بالبنغال فترة ثمانية عشر عاماً فقط ، وكان ظهور شخصية الإمام ولي الله خلال تلك الأحداث الحرجة من النعم الكبرى الموهوبة للأمة الإسلامية من خالقها عزّوجل ، وقد كان من أعماله الجليلة إثارة النهضة الإسلامية الشاملة على غرار القرون الماضية ، وبدء حركة الاجتهاد

الفكري والفقهي بعد ترك التقليد الأعمى للمذاهب وإنشاء المعاهد الدينية الكبيرة المعتمدة في تحمل نفقاتها على صدقات المسلمين ومساعداتهم المالية فقط ، دون لجوء إلى منح الحكومات مطلقاً ، وقد كان مولد الإمام قبيل أربع سنوات من وفاة الملك "أورنغ زيب" ، كما أنه بقي على قيد الحياة لست سنوات بعد انتصار الإنجليز في وقعة بيلاسي بالبنغال ، ويعني ذلك أنه وجد آثار أنقاض الحضارة الإسلامية الشرقية القديمة في أوائل أيامه ، كما أنه شاهد بأم عينيه شروق المطلع الجديد في تاريخ شبه القارة ، وفي تاريخ الشرق بأكمله في حياته ، يقول الأستاذ المودودي معلقاً على سيرة الإمام الدهلوي من هذه الناحية : "إن الإنسان يستغرب حين يقارن بين البيئة التي نشأ فيها الإمام ولي الله ، وبين أعمال علمية فذة قام بها ، بأنه كيف ظهرت مثل هذه العبقرية وسط تلك الأوضاع الحرجة ، فإن سيرة الملوك "فرخ سير" و "محمد شاه رنغيلا" و "شاه عالم" المغوليين معروفة عند أبناء شبه القارة الهندية من انغماسهم في الشهوات ، وخلال تلك الفترة يقوم مفكر لا يوجد عليه أي تأثير لتلك البيئة المظلمة ، فإنه يدعو أبناء وطنه إلى هجر العصبيات العرقية والعقدية والمذهبية السائدة في المجتمع منذ عدة قرون ، كما أنه دعا إلى الخروج من مآزق العلوم البالية التقليدية ، منادياً إلى التمسك بتعاليم الكتاب والسنة الصافية ، وإنه يعيد النظر في جميع قضايا الحياة الشخصية والاجتماعية ، وينظر إليها بنظرة اجتهادية دقيقة ، ويترك وراءه تراثاً علمياً قيماً لا يرى عليه أي إثر للأوضاع السائدة في عصره ، لا في مضمونه ولا في أسلوبه ولا يخطر بالبال لحظة أن هذه المؤلفات القيمة الثمينة إنما تم تأليفها في مكان دارت حوله دوائر اتباع الشهوات وعبادة النفس والهوى والنهب والسلب والمجازر والحروب الطائفية" [شخصيات للمودودي : ص/١١٦] ، وطبعاً فإن هذا الاستغراب بديهي وطبيعي ، ولكن من سنن الله في الكون أن الظلمات مهما تراكمت وتكاثفت تضاعفت قوة النور أيضاً لمقاومتها ولكشف ما في بطونها

من زيغ وضلال ، فقد قال تعالى : ﴿ ويخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ ، وقال إقبال : يولد الطفل من انشقاق البطن بينما يولد الرجل من بطن الأحداث ومن تحطم العالم .

لقد قدم الإمام الدهلوي خطة شاملة لنهضة الأمة الإسلامية ونشأتها و وحدة كلمتها من جديد بعد دراسة انتقادية لتاريخ الأمة وثقافتها وعلومها لتتمكن من قيامها بدور الخلافة والإمامة كالسابق بعد شفائها من أسقام الجهل والتشتت ، فإن السرطان الأكبر الذي تسرب إلى كيان الأمة هو انشقاقها وافتراقها إلى فرق شتى وتشتتها إلى أحزاب وطوائف لا تحصى ، وما أضخم هذه الطامة إذ أصبح علماء الأمة وزعماؤها مصدراً لذلك التحزب والتخرب ، وقد ورد في الآثار أن موت العالم موت العالم ، فكيف يمكن توحيد صفوف الأمة بينما الوضع يشير إلى ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ ، ويفهم من هذه الآية الكريمة التي وردت في القرآن الكريم لأكثر من مرة بأن تواكل كل فرقة على تقاليد أجدادها وإنكار علمائها فقط ، والاعتقاد بأنها هي الفرقة الوحيدة الناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة للأمة ، كما ورد في أحد الأحاديث النبوية ، هو مرض نفسي اجتماعي ولم يستحسن الله تعالى ذلك الوضع للأمة ، بل يجب على جميع أهل المذاهب والأحزاب للأمة إعادة النظر في تراثها ومحاولة التوفيق بين آراء الفرق المختلفة الحقة .

يوجه الإمام الدهلوي في مؤلفه "التفهيمات الإلهية" نصائح لجميع طبقات الأمة وفئاتها مدعياً بأنه وصى من أوصياء الله ليقوم بإصلاح الأمة فوجه كلمته إلى كل من الحكام والأمراء وأصحاب رؤوس الأموال ورجال الأعمال والعلماء والأساتذة والطلاب والصوفية ورجال القوات المسلحة والعمال وغيرهم من فئات الأمة المتنوعة وانتقد بها أوضاعهم وأعمالهم خلال تلك الأيام وأرشدهم إلى رفع مستواهم في الشعور بمسئوليتهم الاجتماعية والأخلاقية .

وسأركز حديثي هنا على فكرة الإمام وجهوده في توحيد كلمة المسلمين وصفوفهم ، ويبدو في بادئ النظر أن الحديث حول هذا الموضوع عادي للغاية يستطيع أن يقوم به كل شخص ، ولكن الواقع أن مرض التعصب والتحزب أخطر وأكبر من أمراض العظام والأعصاب ، فإن علاجه يعني عرض المرايا أمام العميان وتجلية الزيغ والظلام ، وكشف حقائق الأنفس والآفاق عند الذين لا يعرفون الكل والكليات ولا تتجاوز معرفتهم الأمور الجزئية والإقليمية ويعرفون ظاهراً من الحياة الدنيا فقط ، فلابد من دراسة الأسس الفكرية والعقدية لكل فرقة ونحلة ومن معرفة نفسية جميع المذاهب والمشارب الفقهية والكلامية إلى جانب التبحر في العلوم والفنون المتنوعة والآراء والأهواء المتضاربة وممارسة التجربة الميدانية لأتباع تلك الفرق والمذاهب ، ولم يتصف بهذه الصفات الجليلة في شبه القارة الهندية بعد وفاة المجدد للألف الثاني الهجري شيخ الإسلام أحمد السرهندي أحد من العلماء غير الإمام ولي الله الدهلوي ، فإن جهوده في تسوية صفوف الأمة وتوحيد كلمتها تعتبر أكبر ضخامة وأكثر فعالية من من سواه من علماء الأمة عبر تاريخها ، إذ أنه أتمّ دراسة الموضوع بالجدية والدقة ، وقد كان هو يشعر بخطورة مهمته الهامة وقيمة عمله الجليل ، فيقول ضمن رسالته "الجزء اللطيف" : "إن أضخم نعم الله على هذا العبد الضعيف ، أنه جعلني فاتحة هذا العصر ، وهداني في الفقه إلى مسلك يرضى به سبحانه ، و وفقني إلى الجمع بين ظاهر الحديث والتفقه فيه ، وأطلعني على سنن الشريعة وأسرار المصالح ، ولم يُوفَق قبلي أحد من العلماء السابقين إلى تدوين هذا الفن بهذه الدقة والإتقان ، وإذا شك أحد في ذلك فعليه أن يدرس كتاب القواعد الكبرى للشيخ عز بن عبد السلام ، فإنه لم يصل إلى عشر معلوماتي رغم أنه بذل جهداً كبيراً في تأليف ذلك الكتاب ، وقد ألهمني الله طريق مرضاته في علوم التصوف والسلوك الصوفي ، وقد دونتها ضمن المؤلفين "اللمعات" و "ألطاف القدس" ، وإلى جانب ذلك قد

منحني الله طريق إثبات عقائد السلف بالأدلة والبراهين القاطعة والمعرفة لكمالات الإبداع والخلق والتدبير وإدراك نفسية النفوس البشرية ، وصلاحياتها في ضوء تعاليم الكتاب والسنة ، وآثار الصحابة مفصلاً ومتقناً مع الانتقاد بما هو ثابت من السنة الصحيحة ، وما هو محرف مضاف إليها ، وإذا شكرت ربي هذه النعم على لسان كل شعرة في جسدي لن استطيع أن أؤدي حق الشكر" .

[نقلاً عن كتاب التمهيد لتعريف أئمة التجديد -للأستاذ عبيد الله السندي : ص/١١٥]

وقد اتضح من المذكور أن مشروع الإمام الدهلوي لتوحيد كلمة المسلمين والتوفيق بين آراء المذاهب الفقهية العديدة كان ملهماً ومؤيداً من الله تعالى ، وكان الإمام واثقاً بصدق دعوته كل الثقة ، فإن القرآن الكريم يدعو جميع أهل الكتاب إلى الاجتماع والاتفاق على الأمر المشترك بين المسلمين وغيرهم من أتباع الأديان السماوية السابقة حيث قال الله تعالى : ﴿ قل : يا أهل الكتاب ! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم * أن لا نعبد إلا الله * ولا نشرك به شيئاً ﴾ ، فكيف لا يمكن الاتحاد والتوافق بين طوائف المسلمين المتعددة المختلفة في بعض المناهج والمعتقدات الفروعية ، فيجب أن يجتمعوا ويجتازوا تلك الخلافات الهامشية وأن يتحدوا على الأسس والأصول ، وبالأخص في العصر الحاضر الذي يسوده الشر والشعوذة وتملؤه قوى الطاغوت في شكل وآخر ، ولعل الاتحاد والتعاضد الحميم الحالي بين قوات الشرّ والطاغوت لا يوجد له نظير في التاريخ البشري كله ، وقد ازدادت أهمية رسالة الإمام الدهلوي وارتفعت قيمتها ومكانتها في هذا العصر أضعافاً مضاعفةً فإن من الغريب أن تتوحد كلمة شعوب لا تتفق لغة ومنطقة وجنسية وعقيدة وثقافة ، وأصبحت متكاتفة كبنيان مرصوص ، وفي نفس الوقت تفرقت كلمة أمة قامت لنشر رسالة التآخي والتكاتف بين أمم العالم ، فإن الخلافات المذهبية والعصبيات الجغرافية والعرقية مزقت الوحدة الإسلامية

شر ممزق ، وقد وصل الأمر إلى أن بعض المسلمين يتعاونون مع عدوهم متسببين في زيادة ضعف الأمة ومحنتها وتمزيق وحدتها ، وقد ادعى الأستاذ "مناظر أحسن الجيلاني" ضمن كتابه أسطورة افتراق المسلمين بأنه : "لا توجد خلافات جذرية أصولية بين طوائف المسلمين ما عدا خلاف أهل السنة والشيعة ، فالمسلمون متحدون أساساً أوهم فرقتان شيعة وأهل السنة على الأكثر وإلا لا تأثير للخلافات الفقهية والكلامية لهم على التعامل والتكاتف بينهم" ، وطبعاً يملك رأى الأستاذ الجيلاني المذكور سلامة وإصابة إلى حد كبير ، ولكن كيف نترك الخلافات الفرعية الهامشية التي تؤثر سلبياً على كيان وحدة الأمة ، ويمكن أن يدرك هذه الحقيقة قارئ اليوم أكثر من قراء الأمس فإنه يشاهد أن الشعوب الإسلامية تحيد عن طريق وحدتها وتضيع قواتها وثرواتها في ما لا يعنيها ، وتترك جميع المجالات والاحتمالات مفتوحة ومكشوفة أمام أعداء الأمة لاستكمال أهدافهم واستغلالهم بسهولة ويسر ، وعند هذا الحد يجب أن نتوقف وندارس عبقرية الإمام الدهلوي بأنه أدرك خطورة سرطان الخلاف والتمزق قبل أكثر من قرنين ، وقد نشر مؤلفه الوجيز : "الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف" في الهند وباكستان ولبنان وغيرها من الدول لعدة مرات وقام عليه بالتقديم والمراجعة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله ، ويقول صاحب مكتبة دار النفائس بيروت ، ضمن كلمة الناشر للكتاب المذكور : "من يطلع على مناقشات المتعصبين من أتباع المذاهب الفقهية الإسلامية لا يشك في أن التعصب المذهبي هو من العوامل الرئيسية التي أدت إلى تأخر المسلمين في حين أن أئمة المذاهب أنفسهم لم يتعصبوا تعصب الأتباع لمذاهبهم ، يظهر ذلك جلياً في مؤلفاتهم ومن آرائهم ، هذه حقيقة يدركها كثير من الناس ، وكتب عنها عدد كبير من العلماء ، لكن رسالة الإمام الدهلوي : "الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف" ربما تكون على صغر حجمها ، أكثر ما كتب في الموضوع فائدة" .

ومن أهم مؤلفات الإمام الدهلوي الداعية إلى تزكية النفوس والتعالي عن العصبيات والخلافات ، كتاب : "حجة الله البالغة" الذي يقول الشيخ سيد سابق في تقديمه : إن هذا الكتاب يشهد بأنه أحد عمالقة الفكر الإسلامي والعلوم العقلية ، ومنها التفهيمات الإلهية والبدور البازغة والخير الكثير وفيوض الحرمين (في أسرار الشريعة والمشاهدات والمعارف الروحية) والمسوى والمصفى (شرحان لمؤطأ الإمام مالك) والنوادر من حديث سيد الأوائل والأواخر ، والفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الكريم الأمين ﷺ (المعروف بالمسلسلات) وشرح تراجم بعض أبواب البخاري وغيرها (في الحديث) والإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ، وعقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد ، وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء (في التوفيق بين المذاهب) والقول الجميل واللمعات والسطعات والمكتوب المدني ، وتأويل الأحاديث والسر المكتوم في أسباب تدوين العلوم وحسن العقيدة (في الفقه والكلام والسلوك) إلى جانب عدد آخر كبير من المؤلفات بالعربية والفارسية .

ومن حسنات الإمام الدهلوي وفيوضه أن معظم المعاهد الدينية الكبيرة في شبه القارة الهندية ، قد قام بتأسيسها تلامذة أبناء الإمام بعد فشل ثورة عام ١٨٥٧م لاستقلال الهند ، فإن الأستاذ "مملوك علي النانوتوي" تتلمذ على الأستاذ رشيد الدين خان ، وكان الأستاذ رشيد الدين تلميذاً للشيخ رفيع الدين أحد أبناء الإمام الدهلوي ، ومن تلامذة الأستاذ مملوك علي الشيخ محمد قاسم النانوتوي ، مؤسس معهد دار العلوم ديوبند الشهير بأزهر الهند ، ومن بينهم السير سيد أحمد خان ، مؤسس جامعة عليكره الإسلامية ، ومن تلامذة الشيخ محمد قاسم شيخ الهند محمود أحمد ديوبندي السجين في مالطا ، وهو مؤسس الجامعة الملية في نيودلهي ، ومن تلاميذ الأستاذ مملوك علي الشيخ مظهر النانوتوي ، مؤسس معهد مظاهر العلوم الكبير في مدينة سهارنفور ، ومن تلاميذ الشيخ عبد العزيز بن الإمام ولي الله الدهلوي ، الشيخ نذير

حسين المحدث ، والعلامة صديق حسن خان القنوجي من كبار علماء أهل الحديث ، وكذلك كان الشيخ أحمد علي المحدث السهارنفوري من تلامذة الأستاذ مملوك علي ، وهو أستاذ للعلامة شبلي النعماني في الحديث ، وشبلي النعماني ، مؤسس دار العلوم ندوة العلماء في مدينة لكناؤ ، يقول الأستاذ عبيد الله السندي في كتابه التمهيد لمعرفة أئمة التجديد (العلامة أستاذ أساتذة العصر الشيخ مملوك علي بن أحمد علي النانوتوي الدهلوي) أخذ عن مولانا رشيد الدين الدهلوي ، وكان قد تعين مدرساً في كلية دلهي بعد شيخه رشيد الدين وأخذ عنه الشيخ محمد أظهر النانوتوي ، والشيخ عبد الرحمن الفانيفتي ، والشيخ أحمد علي السهارنفوري وشيخ الإسلام مولانا محمد قاسم النانوتوي ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، والعلامة الشيخ يحمد يعقوب النانوتوي ، وأخذ عنه سيد أحمد الدهلوي ، مؤسس الجامعة الإسلامية في عليكره ، والشيخ نذير أحمد الدهلوي ، مترجم القرآن الكريم ، والأستاذ ذكاء الله الدهلوي وغيرهم من نوابغ العصر . [التمهيد:ص/١٤٧]

والجدير بالذكر أن المعاهد المذكورة الدينية والعصرية تملك آلاف الفروع في أنحاء شبه القارة الهندية ، ولا زالت تعاليم الإمام الدهلوي يستفيد ويستلهم بها العلماء والدعاة والزهاد والطلاب في شبه القارة وخارجها ، ومن أبرز المستفيدين بها الدكتور الشاعر محمد إقبال ، والأستاذ أبو الكلام آزاد ، وزير التعليم الهندي الأسبق ، والأستاذ أبو الأعلى المودودي ، والأستاذ عبيد الله السندي ، والعلامة محمد أنور شاه الكشميري (صاحب التصريح بما تواتر في نزول المسيح) ، والأستاذ العلامة سيد سليمان الندوي ، والشيخ التهانوي ، وسماحة الأستاذ أبو الحسن الندوي وغيرهم .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

☆☆☆

السلطان تيبو الشهيد
حياته و مآثره

[٢/الأخيرة]

بقلم : الأخ الأستاذ فيصل أحمد البهتكلي الندوي

☆ خطته لتسيير البلاد :

كان أول ما فعل السلطان بغد ما تقلد أمر الحكومة أن أصدر مرسوماً إلى الشعب يبدى فيه عن عواطفه ومطامعه و وعيه وفكره وما يريد من حكمه ، وهذا نصه فيما يلي :

١- أنا سلطان "تيبو" أرى واجباً عليّ كحاكم لولاية ميسور أن أسعى لإصلاح أخلاق الرعية وعاداتها بقطع النظر عن الأديان والملل .

٢- وأن أواصل السعي لرفاهيتهم ورغدهم وتقدمهم الاقتصادي والسياسي .

٣- وأن أذود عن أرض "سلطنة خدا داد" (١) شبراً شبراً ما دمت حياً .

٤- وأن أقوم بإصلاح المسلمين خاصة على أسس الدين والأخلاق الإسلامية .

٥- وأن أوحد كلمة أهل الهند جميعاً لطرد الإنجليز عن البلاد الذين هم عدونا اللدود في الحقيقة .

٦- وأن أخلص الدهماء العاجزين المضطهدين المهضومة حقوقهم من الإقطاعيين الجائرين وأن أعامل كل واحد على حد سواء على أساس العدل والقسط .

٧- وأن أقضى على جميع العصبيات المذهبية واللسانية والطبقة ، الموجودة في أهالي الهند ، وأن أجمع شملهم للدفاع عن البلاد .

٨- وأن لا أتلكأ عن الاستمداد العسكري من الأجانب للحفاظ على البلاد ،

---

(١) معنى خدا داد "المنحة الإلهية" وكان هو وأبوه بريان السلطنة منحة إلهية ، فلذلك اطلقا عليها هذا الاسم وبه اشتهرت في التاريخ .

والذود عنها إذا كانت الحاجة دعت إليه .

٩- وأن أفرض الحظر على البضائع الأجنبية والمسوجات الخارجية في ولاية "ميسور" ، لكي أفسح المجال للتجار المواطنين ليتقدموا في الرخاء والثراء .

فأخذ نفسه بالعمل بهذه الخطة ، وتحقيق هذه الأهداف كما تقدم بعض ذلك ضمن عنوان : "جهوده لتحرير البلاد وكما سأشرحه بعد" .

☆ شجاعته وبطولته :

كان شجاعاً لا يبارى ، أبدى ببطولاته في بعض الحروب والمناوشات في مقتبل شبابه فاستلب قلب أبيه ، والشجاعة صارت له كالغزيرة ، فلذلك كان يحب الأسد حباً شديداً كأنه جزء منه لا ينفك عنه ، كان قد اقتنى أسوداً وغوراً في قصره يتمتع بها ، وكان يلبس الثياب المنمرة ، ونقش على جميع أسلحته "أسد الله" وصاغ سكة منقوشاً في أحد جانبيها "أسد الله الغالب" وقد تلاشى فيه التشبيه بأنه كالأسد بل هَو نفس الأسد ، بارز مرة في شبابه وجهاً لوجه فغالبه فغلبه ، ولشجاعته الخارقة أطلق عليه الإنجليز "نمر ميسور" وكانوا يهابونه أشد المهيبة حتى كانت نساؤهم في بريطانيا يخوفن أولادهن باسمه لجلب النوم إليهم .

☆ رحمته ورأفته :

وكان مع شجاعته النادرة وبطولته الخارقة قد غلبت طبيعة الرحمة والشفقة ، كان ذا حلم وأناة ، وعطف وحنان ، ورأفة ولين ، وعفو وتسامح ، ما انتصر لنفسه من أحد ، ولم يهجم قط ابتداءً من نفسه ، وما جرى بينه وبين الإنجليز أو المرهتة وغيرهم من القتال والنضال فكله دفاع لا هجوم ، ولا يتسرع في الثأر والانتقام والتعذيب والتنكيل ، قد صفح عن بعض من ظهر منه البغي والخيانة والغدر به من وزرائه ، وأقرهم على مناصبهم وذلك مما أدى سلطنته إلى سقوط وانهيار ، وكان في ذلك أشبه بـ "همايون بن أكبر" سلطان الهند ، وكان يحسن إلى الأسرى حتى كان كثير منهم دخلوا في الإسلام طوعاً متأثرين ببره وإحسانه ورفقه وحنانه ، وقد وقع له ما جدد

ذكرى السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وذلك أنه قرع سمعيه مرة في ساحة الوغي صوت بكاء من خيمة فأسرع إليها فرأى أن الأسرى من الأعداء يتلوون عطشاً وظمأً ، فحدب عليهم وترفق بهم وسقاهم بيده في ساعته تلك ، وكان يقول : إني استوحش من القتل والفتك ، إنما خلقت لإنقاذ الروح وتضميد الجروح .

☆ ذكاؤه و فطنته :

قد حباه الله ذكاءً متوقداً وذهناً ثاقباً وفكرةً إبداعيةً ، اكتشف بفكره حقائق ، وأبدع بذهنه أشياء ، أدهشت كبار الأذكياء ، اخترع سيارة مصفحة لا ينفذ فيها الرصاص ، وأحدث ماكينة تثقب في المدافع ، وإليه يرجع الفضل في اكتشاف الصاروخ حتى عدته أمريكا من أول من اكتشفه ، وهو أول من استخدم النحاس لصون البوارج من الجبال المغناطيسية في البحر ، وهو أول حكام الهند من اهتم بإحصائية السكان ، لم يكن طبيباً مكتسباً ، ولكنه اكتشف أدوية ومواصفات من العلاج شهد بها الأطباء بخبرته في الطب ، وإبداعات أخرى يطول ذكرها ، وبالجملة كان له نهم بالإبداع والاختراع .

☆ نظمه في الحكم وكفاءته الإدارية :

كان رجلاً إدارياً حقاً ، فيه جدارة إدارية بتمامها ، نسق جيشه أحسن تنسيق يضاهى نسق أوربا المتحضرة ، كما شهد به بعض المؤرخين الإنجليز ، وكان جيشه النظامي زهاء مائة ألف وثمانين ألفاً ، أنشأ معهداً للتدريب العسكري وللترغيب في الجهاد .

وكان أبوه حيدر علي أول من أدرك أهمية القوات البحرية ، فكان السلطان خير قفية لأبيه في ذلك فنمّاها ودعمها ونظمها ، وكان عنده أكثر من خمسين بارجة ، خصص مصانع لنجرها وصنعها .

وكان حكمه أشبه بنظام الشورى الجمهوري ، أقام برلماناً فكان لا يقطع أمراً دون موافقة من أعضاء برلمانه ، وكانت تحته وزارات تالية :

١- وزارة المالية . ٢- وزارة التجارة البرية .

٣- وزارة الأسلحة والذخائر . ٤- وزارة الدفاع . ٥- وزارة مراقبة الأسلحة والذخائر . ٦-وزارة مراقبة الخزينة . ٧- وزارة العدل .

٨- وزارة الجيش الميسوري . ٩- وزارة الإعلام والمواصلات .

هذه الوزارات الرئيسية كان يشرف عليها البرلمان ، وهناك بعض وزارات أخرى سواها .

☆ سعيه للتقدم الاقتصادي :

واعتني السلطان بالتنمية الاقتصادية اعتناءً بالغاً ، صعّد التجارة ، وأنعش الزراعة ، وشجع الصناعة ، وخطط تخطيطاً دقيقاً للاقتصاد ، وأحسن الاستيراد والتصدير ، و وفر التسهيلات للتجار والصناع والزراع ، وأسس مصانع لأنواع من الثياب ، والأثاث والرياش ، والسكر والزجاج ، ولصناعة الورق والأسلحة والبازود ، ونحت الأحجار والنقش فيها وسك النقود ، واهتم بتعدين الذهب والفضة ، واستخراج اللآلي والدرر ، واستدعى لذلك الحذاق والبارعين من بلاد نائية برواتب عالية ، واستورد دود القز ورباها ، وعني بصناعة الصندل ، هو أول من ألغى النظام الإقطاعي في ولايته ، و وزع الأراضي الفائضة بين الفلاحين المعوزين ، وأنشأ شركة لشراء الحصص لكي ينشط الجماهير فيتقدموا في الاقتصاد ، وكان له روابط اقتصادية بعديد من الدول ، وكان التجار من مختلف أنحاء العالم يطوفون في مناطق نفوذه يروجون البضائع ، هكذا عم الرخاء وشمل الثراء ؛ بلاد طيبة ، أرض مخصبة ، حدائق غناء ، رياض فيحاء ، أشجار مثمرة ، أثمار رائقة ، مصانع عامرة ، متاجر مدهشة ، والناس في راحة واستقرار ، وفي رغد العيش وهناء الحال ، آمنين مطمئنين ، لا همّ ولا سكوى ، وقد اعترف عضو البرلمان البريطاني وقتئذ أن إقليمه أخصب بلاد الهند وأن شعبه أسعد سكانها .

☆ تسامحه الديني :

كان السلطان مع تصلبه في الدين قد أطلق الحرية الدينية لجميع أصحاب الأديان المنتشرة في ولايته ، ولم يشتط أي اشتطاط في السلوك معهم ،

ولم يتدخل في أمورهم الدينية تدخلاً ما ، فلم يعترض لمعابدهم بسوء ، بل أحسن إليهم إحساناً بالغاً ، وعاملهم بمنتهى اللين وغاية الرعاية ، ولّى بعض المناصب العالية عدداً من الهندوس ، وكان يحترم أحبارهم وكهنتهم وينعم عليهم فأقطع لمعابدهم إقطاعات وأرسل إليها هدايا ، وهي لا زالت باقية عند خلفائهم تشهد بتسامح السلطان الديني ، وتناصحه الشامل ، وكذلك توجد مناشيره عندهم حتى اليوم .

☆ عنايته بالعلم :

كان عالماً بالعلوم الشرعية وعارفاً بالفنون العصرية ، قد تلقى علوم التفسير والحديث والفقه في حدثان شبابه ، وكان له معرفة حسنة بالنجوم والطبيعة والطب والهندسة والموسيقي ، وكان له علم بعديد من اللغات ، أتقن الفارسية واللغات المحلية ، وتعرف على العربية والأردية ، وألم بعض الإلمام بالإنجليزية ، والفرنسية ، وكان بارزاً في أكثر العلوم والفنون ، وكان بارعاً في الخط حتى أحدث بذكائه خطاً أطلق عليه "الخط البيري" نسبة إلى البير وهو النمر ، وكانت أعلام النمر فيه بادية ، وذلك ينم عن شدة حبه الأسد والنمر ، ألف علماء بلاطه نحو خمسين كتاباً في الموضوعات المتعددة بأمره ، وبعضها أملاه السلطان بنفسه ، وكان حريصاً باقتناء الكتب فكانت له مكتبة قيمة في قصره تتضمن ألفاً وثماني مائة و تسعة و ثمانين كتاباً نادراً ، منها ما هو مذهّب ، ومنها ما هو منظوم باللآلي والدرر ، قد ابتز الإنجليز هذه المكتبة القيمة الغنية ، واستبدوا بها بعد قتل السلطان وأرسلوها إلى كلكتا ، واستأثروا بنوادرها فاحتفظوها في بريطانيا ، و كانت له رغبة في مطالعة الكتب ، وكان إذا فرغ من كتاب طبع عليه بخاتمه ، فكان أكثر هذه الكتب وجد مختوماً ، وكان يود أن لا يبقى في ولايته أمّي فاعتني بنشر العلوم وتعليمها أشد الاعتناء ، خصص في منشوره الذي وجهه إلى القضاة وأئمة المساجد ، فقرات حول التعليم وعيّن الأرزاق للمعلمين ، وأمر العمال والقضاة بإنشاء الكتاتيب والمدارس ، وأسس في عاصمته جامعة بمعنى الكلمة سنة ١٧٨٥م ،

تسمى بـ "جامع الأمور" اهتم فيها بالعلوم الشرعية والفنون العصرية المتداولة معاً ، كان قد أزمع أن يوفد أحد أبنائه إلى فرنسا للدراسات العليا واتفق مع حكومة فرنسا على ذلك ، وكان ذلك يقتضي نفقات باهظة قراب خمسين ألف روبية سنوية فرضي بأن يتحملها ، ولكنه لم يمكنه لتوقّد نيران "الحرب الثالثة" بنيه وبين الإنجليز .

شعر بفراسته أهمية اللغة الأردية بأنها ستكون أرقى لغة للمسلمين في الهند ، فألقى العناية بها ، حتى إنه أول من أصدر جريدة بالأردو (١) ، باسم "فوجي أخبار" أي الصحيفة العسكرية ، وهي أشبه شئ بها ، وذلك في سنة ١٧٩٤م ، وكانت لا تزال تصدر حتى شهادة السلطان مع أن الأردية كانت إذ ذاك في حداثتها ، وبعيدة عن مولدها .

☆ تقواه وتدينه :

لم يكن السلطان والياً كعامة الولاة تملك زمام الحكومة ، وتمرغ في النعيم ، ثم اخترمته المنية ، بل كان مؤمناً صادقاً ، ديناً تقياً ، شديد التمسك بالشريعة السمحة والسنة المطهرة ، نافراً عن البدع والطقوس والتقاليد ، مديماً على الوضوء ، يصلى بالجماعة ، لم يخرج صلاة عن وقتها بعد أن بلغ الحلم مع أنه قضى أكثر حياته في الحروب ، خصص لنفسه ساعة لتلاوة القرآن الكريم بعد صلاة الفجر كل يوم ، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، حيياً أشد الحياء لم ير أحد من جسمه إلا ما يظهر منه من الوجه واليدين والقدمين ، يحترز عن كل سوء ومكروه ، لم يقارب امرأة لا تحل له ، ولم يشرب الخمر قط ، وما كان يلبس الملبوسات غير المشروعة ، ويواظب على العمامة بل أدخلها في حلة

---

(١) هذا مما يبعث على الحيرة والاستعجاب لأن ما ذاع في تاريخ اللغة الأردية أن أول من أصدر صحيفة بالأردية ، هو المولوي محمد باقر -- والد الأديب الأريب محمد حسين آزاد -- في دلهي سنة ١٨٥٧م ، ولكن الحقيقة أن السلطان "تيبو" قد سبقه بثلاث وستين سنة ، ولما أن الإنجليز أحرقوا جميع ملفات جريدته خفي ذلك على عامة المؤرخين .

الجيش ، وألزم جنوده أن يحافظوا على الصلوات بالجماعة ، شديد التواضع يكره أن يقوم له أحد ، ويمنع من ذلك ، كبير العدل والإنصاف ، كثير العفو والتسامح ، ما أحل دم أحد إلا بحق الإسلام ، عظيم الغيرة ، قد هجر الاستراحة على السرير بعد انهزامه في الحرب الثالثة ، وما زال ينام على حلس على الأرض حتى شهادته ، محباً للدين ، يفتتح مجلسه الملكي بتلاوة القرآن الكريم ، وكان من أسمى أمانيه أن يرحل إلى الحرمين الشريفين للحج والزيارة ، فلم تمهله المصالح الملكية والحروب المستمرة لذلك ، ولكنه كان يرسل مئات من الناس كل عام ، لحج بيت الله الحرام بنفقات حكومية .

ترتبط علاقته الروحية بجد السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد -- صاحب حركة دينية جهادية كبرى -- وهو الشيخ الكبير السيد شاه أبو سعيد الحسني الرائ بريلوي ونجله الكريم السيد شاه أبو الليث الحسني ، فأثرت روابط هذه الأسرة الربانية بالغ التأثير وعملت عملها .

وبلغ السلطان مَن تقواه وعمله بالشريعة ما أدهش المشايخ الكبار ، وحملهم على الإذعان بفضله وتدينه ، منه أنه لم تفت له صلاة بعد أن بلغ أشده ، وله في ذلك قصة محيرة ، وهي أنه لما أتم بناء مسجده "المسجد الأعلى" في حاضرته "سري رنغافتنم" في عام ١٧٩٠م ، جمع كبار العلماء والمشايخ من مملكته ، وكان يود أن يفتتح هذا المسجد الذي أنفق في بنائه أموالاً طائلةً بالإمامة فيه من لم تفت له صلاة بعد ما بلغ الحلم ، فلم يُوجد فيهم أحد يتيقن على نفسه بذلك ، و لما لم يتقدم أحد منهم للإمامة تقدم السلطان نفسه ، وصلى بهم ، وقال : الحمد لله الذي وفقني لذلك فأنا بفضله وعونه لم تفت لي صلاة بعد ما أدركت ، فدهش الناس وتحيروا .

ومرة حال النهر بينه وبين الأعداء الذين يريد أن يغزوهم ، وهو فائض فتفكر قليلاً ، ثم أطلق واحد وعشرين مدفعاً ليغيض الماء ، توكلاً على الله ،

فما لبث قليلاً إذ غار الماء ، واقتحم هو وجنوده بخيلهم النهر وعبروه إلى الأعداء آمنين فراعهم هذا المنظر ، وتيقّنوا أن الله معه .

☆ محاولته لتنفيذ الشريعة وبناء المجتمع الإسلامي المثالي :

وكان السلطان "تيبو" أولاً وآخراً يرغب في إقامة المجتمع الإسلامي الصالح المثالي الأفضل ، فأوجب تعظيم الشعائر والتزام الشرائع ، كتب إلى عماله في سنة ١٧٨٦م أن تأمروا الناس بالاستمساك بالشريعة التي ترك النبي الكريم ﷺ الناس عليها وغيرها الملوك والأمراء من بعده ، أنتم أخلق وأجدر بتنفيذ هذه الأحكام الشرعية وتطبيقها على المسلمين بطريق أحسن وسوف يجزيكم الله على ذلك (انتهى) ففرض الحظر على تعاطي الخمر وسائر المخدرات حتى للجنود الأجانب من عسكره فقطع جميع الأشجار التي تتخذ منها الخمر غالباً ، سداً للذريعة ، وتحمل خسارة مليار روبية من أجل ذلك ، ونهى عن السفور و وضع التعزيرات على خلافه ، وهدم بنيان البدع والطقوس فحظر على ما تداول به بعض المشايخ الصوفية من عادات لا تتفق والإسلام ، وعلى جميع البدع والتقاليد والأعراف التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي بحكم جوار الهندوس ، و بحكم تفانيهم في الدنيا ، و بعدهم عن الدين ، بكل ما لا يمت إلى الإسلام بصلة ، ومنع من سجدة التحية التي اعتادها أكثر الملوك حتى لا يسمح لأحد أن يقوم له الناس إجلالاً وتعظيماً ، وأذاع في ذلك حكمه أن ما راج في المسلمين من آداب التحية من قيام ولثم وتقبيل ، فكل ذلك من عادات الجاهلية ، قد هدمها النبي الكريم ﷺ ، فينبغي لكل من يشهد بكلمة التوحيد أن يتجنب هذه التقاليد الجاهلية ، ويقتصر على قوله : "السلام عليكم" ويرد بقوله : "وعليكم السلام" كما أمر الإسلام ، ولم يتحمل في منع البدع أدنى مداهنة ، حتى صار هذا التمسك الشديد بالدين ، وهذا الحظر الأكيد على التقاليد من أكبر أعوان أعدائه عليه وجعل الجماهير

السذج خصماً له ، وذلك أن الإنجليز أكدوا لهم أن السلطان عدو لهم وهذه القيود أكبر شاهد عليه فاغتر كثير منهم لهؤلاء الماكرين وباعوا دينهم بعرض من الدنيا وغدروا بالسلطان .

هذا في جانب ، و في جانب آخر اعتني بالأمور الإيجابية ، فبنى في كل بلد مسجداً أو مساجد ، وأكثر بناء المدارس ، و وظف المؤذنين والأئمة والمعلمين ، وأسس دوراً لليتامى وعين فيها مربين ومعلمين يعرفون أبناء الهنادك بتعاليم الإسلام .

ويبدى لك بعض البنود من منشوره الذي وجهه إلى قضاة المحاكم الشرعية وخطباء المساجد من رياسته ما يحن إليه من إنشاء مجتمع إسلامي صالح مثالي ، فهناك نفس المنشور .

١- اعلموا أن هذا منصب شرعي وليتموه لمصالح الدين فعليكم بالمواظبة على الصلاة والصيام وغيرهما من الطاعات والاجتناب عن سائر المحرمات .

٢- ولا تقوموا لنصرة أحد ولا تدافعوا عنه مراعاة له .

٣- وابتعدوا عن الارتشاء .

٤- ولترغبن الناس في الطاعات .

٥- ولتنهونهم عن كل نوع من المخدرات .

٦- أقيموا الحد على الزناة وشاربي الخمر .

٧- واجمعوا المسلمين للجمعة والعيدين .

٨- علموا الأطفال والشباب والكهول والشيوخ العلوم الدينية والعصرية .

٩- زوجوا الرجل والمرأة بعد المعرفة برضاهما .

١٠- عمروا المساجد واهتموا بالأذان وإقامة الصلوات فيها كل الاهتمام .

هذه أحكام رئيسية ويليها بعض أحكام أخرى منها :

١- على معلم المسجد أن يجمع جميع أطفال المسلمين ويعلمهم بالدين ويمرنهم

على الكتابة والقراءة .

٢- ينبغي أن تقام مثل هذه الكتاتيب والمدارس في المساجد وفي غير المساجد .

٣- وعلى القاضي أن يفرض على من لم يأت الجمعة ، روبية ، غرامةً له -- و هي مقدار كبير قبل مأتي عام -- وإن لم يستطيع فليعاقبه بحسب ما ورد في الحديث .

٤- وليهيئ القاضي إحصائية السكان لمنطقته وليحضر جميع التفاصيل المتعلقة بالسكن والرجال والنساء والأطفال ، وليبعث بها إلى السلطان ، وليحتفظ بصورة لها عنده .

٥- وعليه كذلك أن يحتسب الخطباء والمعلمين ويتفحص عن أحوالهم ، ويعرضها على السلطان .

٦- وليعتن بوسائل المعاش وكسب الأقوات لجميع المسلمين ، ومن عجز عن التجارة لعَوَز -- وكان قادراً عليها -- فليرتب له خمسين روبية إلى مائة روبية بمقتضى حاله شهرياً .

٧- والمحترفون للزراعة ، إن لم يقدروا عليها لفقر فليمنح كل واحد منهم أرضاً صالحةً ، وبذوراً ، ومحراثين وثورين ، وزيادة على ذلك عشرين إلى ثلاثين من الربيات للنفقات الذاتية ، ثم إن حسنت حاله بعد عامين فليؤد ما أخذ من الحكومة من القرض على الأقساط .

٨- وينبغي للقاضي أن يهتم بالمساجد وينقيها عن الأقذار والأوساخ ، ويبيضها ويزينها ، ويحدث فيها جاذبية بغرس الأزهار والورود في أفنيتها لتهوى إليها أفئدة الناس من المسلمين وغير المسلمين .

٩- وأن يتفقد أحوال جميع المواطنين من غير المسلمين رجالهم ونسائهم ، ويناصحهم ويواسيهم ، ويلين لهم القول ، ويملك على قلوبهم ، ثم ليدعهم إلى الإسلام بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والحيلة الجميلة ، حتى لا يتفطن به أهله

وذووه ، وإن دخلوا في الإسلام واحتاجوا إلى المال فليعطهم تأليفاً لقلوبهم .

١٠- ومن أحل من القضاة حراماً أو حرم حلالاً يكفّر ، ومن لم يقم الحدود على الزناة والسراق وشاربي الخمر ومتعاطي الرشوة ، أو ارتشى هو أوجار في الحكم ، و لم يراع القسط و العدل ، و مال إلى أحد مراعاة له فيُعزل عن منصبه .

وبالجملة كان السلطان حسنة من حسنات الزمان ممن يندر وجود مثله في قرون وأجيال ، كان نموذجاً فذاً في منهج حكمه ، وخلقه وسيرته ، بل كان نجماً متلألأً للعالم الإسلامي برمته ، لم يهتد به من ساءحظه ، فما لبث أن هوى على رأسه ، ما عرف الناس قدره في حياته فعضوا بنان الندم بعد مماته .

رحمه الله وتغمده بواسع رحمته ، كان والله خير مثال للجمع بين الدين والدنيا ، والشريعة والوطن ، والدين والدولة ، والعبادة والسيادة ، والروح والمادة ، والسيف والمصحف ، والقلم والعَلَم ، اجتمعت فيه صفات متناقضة بغاية من الجمال والكمال ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

ليس على الله بمستنكر ☆ أن يجمع العالم في واحد

☆☆☆

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

☆☆☆

دراسات علمية ونفسية :

التلاعب بقوانين الطبيعة في المخلوقات للحصول على لحوم اصطناعية خطرة

﴿ فيغيروا خلق الله ﴾

الدكتور إبراهيم الراوي
العراق - بغداد

لاحظ العلماء والباحثون والمختصون أن صغار الذكور من المخلوقات كالإنسان وسائر الفصائل من الحيوانات إذا ما أصيبوا بحادث أو مرض في الخصيتين سبب إلى اتلاف الأنسجة التي تنتج الهرمونات الذكرية عند اقتراب سن البلوغ ، مما يؤدي إلى حرمان الجسم من الهرمونات الجنسية (Sexual Hormons) مسبباً زيادة مطردة فادحة في وزن الجسم بعد البلوغ ، وقد جرب كثير من العلماء اليوم قتل أنسجة الهرمون الذكري في عضو الخصية في كثير من الحيوانات الأليفة والداجنة بالطرق الجراحية أو العقاقير أو الاشعاع لغرض إنتاج حيوانات قادرة على النمو الجسدي السريع والسمنة المفرطة لتقديم لحوم سريعة ، وبكميات هائلة وبأقل كلفة من العلف والزمن والمصاريف والجهد :

وقد لاحظ العلماء أن المرضى الذين يتعاطون الأدوية المضادة لأمراض المفاصل والحساسية (Corticosteroids) يصابون بزيادة الوزن إلى درجة تشوه الخلقة وفقدان الجمال مما حذى ببعض السيدات النحيفات إلى تعاطي أمثال هذه العقاقير دون استشارة طبية لغرض الحصول على السمنة والجمال الجسدي فيصابون بداء (Koshing Sendrom) وتشوه معالم الوجه الذي يرافقه اضطراب نفسي عميق ، وخلل عقلي ، وانحراف السلوك العصابي ، ويقدم

كثير من النساء إلى تناول هرمونات منع الحمل ، وهي عبارة عن مواد تفرزها الأنثى في البول طوال فترة الحمل لمنع المبايض في الجسم (Ovarium) من إفراز بويضات تحدث حملاً جديداً فوق الحمل الحالي ، فتتحول الأنثى التي تتعاطى العقاقير لمنع الحمل إلى أشبه بامرأة حامل حيث تبقى تعيش مع الانهاك والاعياء والغثيان والقيئ وزيادة السمنة والقلق النفسي والكآبة ، ثم الحرمان من نعمة الذرية حيث تفقد حيوية الجسم والعافية ، ثم تخسر فرصة العمر في إنجاب وجبة جديدة من الأطفال الصغار ويسبب الحال إلى أن يعيش الزوج في الحرمان من بهجة الأطفال الذين يصنعون الفرح ويساعدون الوالد عند الكبر فيفكر في الزواج الثاني ، وتتمنى المرأة أنها لو صبرت على استمرارية الإنجاب ، ولم تصادف هذه المشاكل الصحية والاجتماعية في مراحل كبر سنها وبعد أن تفوتها كل فرص العمر ، وينصح الطب الحديث بتجنب تناول أية لحوم غمت بسبب غير طبيعي وأحدث خطر اضطراب التمثيل الغذائي (Metabolisma) الناجم عن اختلال توازن الهورمونات في الدم والاضطرابات الهرمونية المرضية والاصطناعية بسبب تلاعب الإنسان ومداخلاته في سير الحياة الطبيعية في أجسام المخلوقات ، وهذا شبيه بما يصيب الأغذية النباتية في استعمال العقاقير والأسمدة الكيميائية لغرض مضاعفة المحصول فتدخل الأجسام البشرية مواد كيمياوية وعلاجية غريبة تضر بالصحة العامة إضافة إلى فقدان الفواكه والخضراوات صفاتها الطبيعية وجودتها في النكهة والمذاق والرائحة واللون والتراكيب والعناصر المفيدة من الفيتامينات والاملاح والمعادن الطبيعية ، وكما يحدث في تطعيم أشجار الفواكه ، فالبرتقال الطبيعي أصبح اليوم معدناً ثميناً في طعمه مثلاً وجودته وقشرته الخفيفة ورائحته ودرجة تركيز السكر والطعم الحلو المذاق والنكهة ، إذ أن الأغراض التجارية في إنتاج أصناف مطعمة على الليمون الحامض والرارنج لمضاعف المنتوج

الزراعي لفاكهة البرتقال ، افقدت الصفات الحميدة والجودة وحرمت البشرية من نعمة البرتقال الطبيعي ، إن كل منتوج تجاري مضاعف يسيئ إلى الجودة ويزداد الربح التجاري على حساب تدمير الصفات الجيدة والاضرار بصحة الإنسان ، ولا يصح تناول حتى الغدد الهورمونية في الطعام كغدة الدرقية التي تنتج هرمون (Thyroxin) انحصر السام المضر بعضلة القلب ، والموجودة في عنق الحيوان في المقدمة ، وتحت الفك السفلي وحول الحنجرة ، فكيف بنا اليوم ونحن نتعرض إلى لحوم غمت على حساب الاضطرابات الهرمونية المركزة في الدم ، وقد يصل وزن الديكة المخصية إلى خمسة عشر كيلوغراماً أي إلى ما يقارب وزن الخروف ، كما قد يصل وزن العجول المخصية إلى نصف طن للعجل الواحد ، وقد تستخدم عقاقير طبية تحقن في جسم الحيوان مسببة الارتشاح الدموي النسيجي (Odemia) حيث يزداد وزن الحيوان على حساب احتباس السوائل الدموية في الأنسجة الجسمية والعضلات ، كما قد تحقن الحيوانات الداجنة والأليفة بجراثيم توليد الغازات في خلايا الجسم الحيواني (Gasis Bacteries) محدثة تورمات غازية في الأنسجة لزيادة حجم الحيوانات بسبب هذه الانتفاخات المرضية ، إن الغرض من هذه التلاعبات بأجسام الحيوانات الطبيعية هو القضية التجارية البحتة للوصول بأي أسلوب إلى زيادة المنتوج ولو كان ذلك على حساب صحة الحيوان ومستقبل البشرية ، كما تطبق هذه المحاولات على بني الإنسان أحياناً كوسائل شاذة لأساليب التمارض وخداع اللجان الطبية لغرض الإحالة على التقاعد بالنسبة للموظفين ولغرض الاعفاء من الخدمة العسكرية بالنسبة للمكلفين وعند طلب إحالتهم لأسباب صحية ، إن كل محاولة تغير قانوناً طبيعياً في أجسام المخلوقات التي تسير وفق نظام طبيعي موزون لها مردود سيئ على الجميع .

☆☆☆

شخصيات فقدناها :

رحيل اللواء الركن الحاج محمود شيت خطّاب إلى دار الخلود ...

بقلم : العميد الركن منير فهمي الجراح

ودّعنا بالأمس أخ كريم هو الحاج محمود شيت خطاب العسكري ، والكاتب الإسلامي ، إذ لبى نداء ربه ظهر اليوم الثامن والعشرين من شهر شعبان ١٤١٩هـ - الموافق للسابع عشر من شهر كانون الأول ١٩٩٨م بعد مرض ألمّ به طوال السنين الأخيرة .

وقد فوجئنا بنبأ وفاته فتألمنا كثيراً لفراقه ، وذلك لمكانته العلمية وأخلاقه العالية ، فقد عاش رحمه الله متحلياً بإيمان راسخ مخلصاً لدينه وأمته ، وفياً لإخوانه ومعارفه ، محُباً للضعفاء والفقراء ساعياً في عمل الخير وصلباً في الحق دون غرور .

ولد الفقيد في مدينة الموصل عام ١٣٣٥هـ - الموافق لعام ١٩١٧م لأسرة كريمة عرفت بالعلم ومكارم الأخلاق ، وكان والده رحمه الله ذا مكانه دينية واجتماعية ، نشأ منذ نعومة أظفاره على الفضيلة والتمسك بأهداب الدين .

وفي عام ١٩٣٧م انتسب إلى الكلية العسكرية ، وتخرج في الدورة (الخامسة عشرة) عام ١٩٣٨م ، ومنح رتبة ملازم في الجيش ، وعمل في الوحدات العسكرية الفعالة ، وخلال خدمته فيها اشترك بعدة دورات عسكرية اجتازها بنجاح ، ومن ثم دخل كلية الأركان ، ومنح بعد تخرجه منها شارة الركن .

وبعد أن مارس قيادة إحدى الوحدات العسكرية لفترة من الزمن أوفد إلى المملكة المتحدة للاشتراك بدورة ضباط الأقدمين ، فتخرج فيها وحصل على تقدير جيد ، وقد أسندت إليه بعد ذلك عدة مناصب عسكرية مهمة ، كما أنه اشترك مع الجيش العراقي في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ، وخلال خدمته العسكرية ، وقد وصل إلى رتبة لواء ركن ، قام مع أحد إخوانه الضباط وهو اللواء الركن شاكر محمود شكري بتأليف كتاب عن التدريب الليلي وآخر عن القضايا الإدارية في الميدان ، ونشر بحوثاً ومقالات مختلفة ،

وقبيل انتهاء خدمته العسكرية أخرج كتاب : الرسول القائد ، استعرض فيه حياة الرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من الناحية العسكرية ، وهي دراسة كانت رائدة في دقتها ، إذ أبرز فيها المزايا القيادية للنبي الكريم ﷺ وتطبيقه لمبادئ الحرب في الغزوات التي خاضها المسلمون للدفاع عن الإسلام وتثبيت دعائمه .

وبعد انتهاء ثورة الشواف في الموصل أحيل على التقاعد لما عرف عنه من مواقف إسلامية وصلابته في الدفاع عنها ، واعتقل حيث لاقي صنوفاً من التعذيب ، وكثيراً من الأذى تحملها بصبر منقطع النظير ، وانصرف بعدها إلى التأليف ، فأغنى المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفات قيمة منها :

١- إرادة القتال في الجيش الإسلامي .

٢- سلسلة قادة الفتح الإسلامي في ١٦/مجلداً ، وهو سفر جليل يعتبر مرجعاً عن الفتح الإسلامي وقادته .

٣- عمر بن الخطاب القائد ﷺ .

٤- الوجيز في العسكرية الإسرائيلية .

٦- حقيقة إسرائيل .

٧- ساهم في إعداد معجم للمصطلحات العسكرية في اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

٨- وآخر ما انتجه كتاب : "الشورى في الإسلام" إذ تطرق فيه بإسهاب ودقة لهذا المبدأ المهم من مبادئ الإسلام الحنيف وله مقالات وبحوث أخرى .

وكان رحمه الله قد انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي عام ١٣٨٣هـ- الموافق ١٩٦٣م فبقي فيه عضواً عاملاً حتى عام ١٤١٧هـ/الموافق ١٩٩٦م حيث عين عضو شرف في المجمع المذكور ، وكان عضواً مراسلاً في كل من مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والمجمع اللغوي في دمشق ، ومجمع اللغة العربية في الأردن ، كما كان عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، وعضواً في كل من مجمع البحوث الإسلامية ، ومجمع الفقه الإسلامي .

رحم الله الحاج محمود شيت خطاب فقد كان بحق رجل دين ودنيا أدى ما عليه بأمانه وإخلاص بعيداً عن المغريات مبتغياً مرضاة الله تعالى .

وكان عالماً عاملاً مجداً ترك وراءه أثراً عظيماً وذكراً حميداً أسأله تعالى أن يتغمده برحمته الواسعة ، ويجعل الجنة مأواه ، ويلهم آله وذويه الصبر والسلوان . وإنا لله وإنا إليه راجعون ...

الحكيم عبد الحميد رحمه الله

منشئ مؤسسة "همدرد" ومساهمتها

في إنهاض الطب والتعليم والعلوم والثقافة الإسلامية في الهند

بقلم : الأستاذ قمر الحسن

مدير العلاقات العامة ، جامعة همدرد ، همدرد نغر ، نيودلهي (الهند)

الهند كما نعرفها منذ القدم هي مهد للحضارات ، ومركز للثقافات ، وموئل للديانات ، كانت وما زالت غنية بثرواتها العلمية ومزاياها المنوعة ، فكانت للحكمة و الأدب و الطب و الفلسفة و الشعر مكانة مرموقة في هذه البلاد ، دخل الإسلام في الهند على يد الشاب المسلم العربي محمد بن القاسم ، فدخلت معه العلوم الإسلامية والعربية ، وأصناف من الحرف والمهن وانتشرت فيها وما يجاورها من البلدان الأخرى ، ورسخت جذورها مع قيام الدول الإسلامية ، وقدوم القوافل الإسلامية إلى هذه الديار ، وقد اعتنق الإسلام عدد هائل من الناس بتأثير العلماء المخلصين والرجال الصالحين ، قد حكم المسلمون على الهند أكثر من ٨٠٠/سنة ، وأسسوا مدارس إسلامية ومعاهد علمية كثيرة في سائر أرجائها تعميماً للنفع إبان حكوماتهم المختلفة ، حتى كان في دلهي قبل ١٨٥٧م أكثر من ألف مدرسة ، وكذلك في بلاد أخرى ، واستفاد الناس جميعاً من تلك المعاهد والمدارس استفادة موفورة ، ولا ريب في أن حكومة المسلمين في الهند كانت نعمة عظيمة للمجتمع الهندي ، والتي انتهت مع انحطاط الحكومة المغولية وانقراضها في عام ١٨٥٧م .

كان دخول البريطانيين في الهند إبان الحكم المغولي في القرن السابع عشر بمثابة نقطة بداية سقوط المسلمين ، إنهم دخلوا الهند في زي التجار

وبعد ذلك بدءوا يغتصبون السلطة ، ويتغلبون على الهند بحنكتهم السياسية ، وجعلوا يحكمون عليها ، كانت السيطرة البريطانية هي الاستغلال والاضطهاد ضد المسلمين بوجه خاص ، فجعلوا يدمرون ويبيدون معاهد ومدارس للعلوم الإسلامية تدريجياً ونظامياً ، حتى حرم المسلمون من التعليم كلياً ، بدأت الدولة المغولية تضعف ، ولم يسلم المواطنون من ظلم الإنجليز وشقاوتهم ، وصار الناس غير آمنين في بلدهم مواجهين حالات اضطرارية وخطيرة ، فلما استمر الظلم وبلغ أقصى درجاته ، ولم يتحمل الناس ما لا طاقة لهم بذلك فحدثت معركة ونضال للاستقلال والحرية التي سماها البريطانيون : بـ "الثورة المتمردة" ، وقد أخمدت هذه الثورة الأولى التي قام بها الهنود جميعاً متكاتفين فيما بينهم بقيادة الإمبراطور المغولي "بهارد شاه ظفر" في عام ١٨٥٧م بقوة شديدة ، سألت أنهار من الدماء في كل ناحية وبقعة من البلاد ، كان المسلمون يعيشون في حالة توتر ، وعدم استقرار ، وقد هبطت معنوياتهم وتعرضوا لأسوء عقوبات على يد الإنجليز ، ولم يجدوا سبيلاً للخلاص من هذه الورطة التي أظلت عليهم بالانحطاط من كل جانب ، فقد كانوا ينتظرون بفارغ الصبر رجلاً يرشدهم إلى الصراط القويم ، ويخرجهم من الذل والهوان واستمرت الحالة هذه إلى نهاية القرن التاسع عشر حتى قام المربي والخبير التعليمي "السير سيد أحمد خان" لإعادة المسلمين إلى التيار الوطني الرئيسي ، وقد استرجع معنوياتهم وثقتهم وحثهم على التعليم العصري الحديث ، وأحدث في حالتهم نوعاً من الثورة الإيجابية ، وأسس "مدرسة العلوم" (Madrasatul Uloom) في عام ١٨٧٥م في بلدة "عليكره" لتربية المسلمين والنهوض بهم عن طريق التعليم ، وتحولت هذه المدرسة فيما بعد إلى "الكلية الإنجليزية الشرقية المسلمة" (Mohammadan Anglo Oriental College) بعد جهد طويل ، وبالتالي فإنها ارتفعت إلى منزلة "الجامعة الإسلامية - بعليكره" (Aligarh Muslim University) في عام ١٩٢٠م ، وهي مشهورة الآن في سائر أنحاء العالم ، هذا وبعد تأسيس "مدرسة العلوم" أسس "السير سيد أحمد خان"

"المؤتمر التعليمي الإسلامي" لتثقيف أبناء المسلمين وإصلاحهم ، كانت جامعة عليكره لإسلامية أول جامعة للمسلمين في الهند أقيمت بعد ثورة ١٨٥٧م ذات أهمية كبيرة تعتبر من شتى النواحي أحسن جامعة عصرية من بين الجامعات في العالم الإسلامي ، وساعدت المسلمين في الهند مساعدة ملحوظة في سبيلهم إلى التقدم والرقي ونهضتهم الحديثة الشاملة .

وبعد الاستقلال الهندي مر المسلمون مرة ثانية عام ١٩٤٧م بمحن كثيرة وظروف صعبة كانت لهم بمثابة قيامة صغرى عند ما انقسمت الهند ، وانقسم الشعب كله إلى الشعبين الهندي والباكستاني بعد ما عانت المنطقة من عنف واضطراب و واجه المسلمون أنواعاً منوعة من الشدائد والكروب ، أدى التقسيم إلى مجزرة طائفية عنيفة ذهب ضحيتها عدد هائل ، وأصيب المسلمون بصدمات عنيفة تراجعوا من أجلها إلى كنفهم وفقدوا معنويتهم ، وهاجر كثير منهم إلى دولة باكستان الجديدة والأغلبية التي بقيت في الهند واجهت مشاكل عديدة ، وتعرضت للخطر والتميز الطائفي فتخلفوا في كل ميدان من ميادين الحياة ، نتيجة لذلك حرموا القيادة السليمة الحكيمة ، وتدهورت أوضاعهم الاقتصادية والسياسية والتعليمية والاجتماعية بوجه عام حتى : ﴿ و ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ ، لم يمكن لهم الحصول على وظيفة أو عمل في مكاتب الحكومة إلى أن اعترفت حكومة الهند كذلك بأن المسلمين متخلفون في معيشتهم العامة ، ومكاتب الحكومة خالية من المسلمين ، هذا بسبب حرمانهم من التعليم والتخلف العام ، في هذه الظروف المحرجة قام رجل نحيف البنية قصير القامة ، ولكن عالي الهمة قوي العزيمة شديد الشكيمة باسم "عبد الحميد" (المعروف بـ الحكيم عبد الحكيم بسبب تضلعه في الحكمة والطب) لأجل استخلاص المسلمين من غياهب اليأس والجهل والانعزال والتخلف ، هذا الرجل الذي أحدث تحولاً شاملاً لم يسبقه أحد إلا "السير سيد أحمد خان" قبل ثمانية عقود ، بذل جهوداً قيمة وحينما كان المسلمون المنود يغادرون الهند ، ويهاجرون من دلهي إما إلى باكستان أو إلى مناطق

أخرى ، كان السيد حكيم عبد الحميد يقبل على شراء مساحات كبيرة من الأراضي في ضواحي العاصمة الهندية لتأسيس المعاهد العلمية ، والمدارس العامة ، وبالتالي فإنه عمر حيا باسم "همدرد نغر" (Hamdard Nagar) بدلهي الجديدة ، وقد ورث من أبيه صيدلية صغيرة معروفة بـ "همدرد دوا خانه" (صيدلية المواسات) كان قد أسسها أبوه الطبيب الحاذق الحافظ عبد المجيد في إحدى أزقة دلهي القديمة العريقة في عام ١٩٠٦م في بداية القرن العشرين فجعلها مؤسسة طبية ، وكان هدف والد السيد حكيم عبد الحميد بتأسيس هذه الصيدلية تجديد الطب الشعبي العربي الإسلامي القديم ، وإحياءه من جديد طالما كان قد أصبح على وشك الانقراض ، فإن حكيم عبد الحميد بذل جهوده الجبارة بعد وفاة أبيه في عام ١٩٢٢م ، وسار بهذه الصيدلية "همدرد دوا خانه" إلى الأمام واتجه بها نحو التطوير ، إنه أسس مختبرات حديثة لفحص الأدوية العربية اليونانية وتحقيقها وجهزها بأجهزة عصرية ساعدت في تنظيم صناعة الأدوية العربية اليونانية على أحدث خطوط علمية لأول مرة في تاريخ الطب .

ولم يكتف على هذا فحسب بل في عام ١٩٤٨م قرر الحكيم عبد الحميد أن يحول إدارة همدرد من "مؤسسة تجارية" إلى "وقف خيري" لصالح الإسلام والمسلمين في الهند على الأخص ولخدمة الإنسانية على العموم ، منذ ذلك اليوم مع تطوير صناعة الأدوية الإسلامية اليونانية والعقاقير العربية والصيدلة ، أصبحت فكرة خدمة الإسلام والإنسانية أول فكرة استولت على إدارة همدرد ، وتحولت إلى أغراض ومقاصد عالية وأرشدتها إلى أهداف شامخة ومثالية ، لم تكن مساعي الحكيم عبد الحميد محدودة في ممارسة العلاج بنظام الطب العربي وتجديده بل إنه كان واعياً ومتيقظاً ومدركاً للتخلف العام الذي حل بالمسلمين ، وكان الطريق الوحيد للتحرر من هذا التخلف هو تأسيس معاهد تعليمية جيدة وعصرية ، وإحداث قيادة سليمة وفعالة فإنه كرس كافة جهوده لتحسين حالتهم ، وركز مساعيه وعزائمه على تعليم

المسلمين وتثقيفهم وقد نجحت جهوده المخلصة في عام ١٩٨٩م بتأسيس "جامعة همدرد" أول جامعة أقيمت للمسلمين بعد الاستقلال ، إنه لم يزل قلقاً متلهفاً إلى إيجاد قيادة فعالة بين مسلمي الهند ، فأسس :

☆ أ- مدرسة عامة من الطراز الأول تجمع بين التعليم العصري والتربية الدينية باسم "مدرسة همدرد العامة" (Hamdard Public School) .

☆ ب- معهد تدريبي لتدريب وإعداد الطلبة المسلمين للاختبارات التنافسية التي وضعت لانتخاب المرشحين للوظائف المدنية العالية في دوائر الحكومة الهندية باسم : "دائرة همدرد الدراسية" (Hamdard Study Circle) التي أتت بنتائج مشجعة للغاية ، وازدادت النسبة المئوية للمسلمين في الوظائف الإدارية الهامة خلال فترة قصيرة ، مما ضاعف معنوية المسلمين وشجعها ، وقد بدأت فعلاً رعاية مصالح المسلمين في مكاتب الحكومة ، تم تأسيس المعهدين المذكورين أعلاه بإدارتها تحت إشراف : "جمعية همدرد التعليمية" (Hamdard Education Society) التي أنشئت كجمعية مظلة تمولها "مؤسسة همدرد القومية" ، تسحب هذه المؤسسة مواردها المالية من أرباح همدرد دوا خانه (صيدلية المواساة) وتمول إدارات همدرد الأخرى التعليمية مع الالتزام بالمبادئ الإسلامية الخاصة في الأعمال الخيرية والإنسانية نحو التعليم والتربية ومساعدة الفقراء والمراعاة الطبية وغيرها ، وتتعاون هذه المؤسسة مع الهيئات والمنظمات التي تقوم بنشاطاتها على نفس الخطوط والأهداف .

أما "تعليم آباد" (الحي التعليمي" فهو مجمع تعليمي يمتد على قطعة أرض تحتوي على أكثر من ١٣/فداناً ، ويبعد حوالي واحد كيلومتراً من "جامعة همدرد" ويحتوي المجمع "جمعية همدرد التعليمية" و "مدرسة همدرد العامة" و "دائرة همدرد الدراسية" ، تعمل الدائرة الدراسية أيضاً على برنامج واسع النطاق للتوجيه والتشاور ، وتنفذ جمعية همدرد التعليمية برنامج "اكتشاف المواهب والمنح التعليمية" كل سنة ، ويتم به اختيار الطلاب المسلمين الأكفاء الأذكياء من كافة أنحاء البلاد على أساس نتائج الاختبارات لشهادات الثانوية

والمتوسطة والبكالوريوس والماجستير في الأدب والفنون والعلوم ، ويؤكد للطلاب الفائزين (بعد اختبار كتابي وشفوي) المساعدة المالية المستمرة على تكميل تعليمهم ، والاهتمام بالتربية الدينية في مدرسة همدرد العامة مع التعليم العصري الحديث والبيئة الدينية في مساكن الطلبة في هذه المدرسة تدعم القيم الإسلامية في قلوب الأطفال وأذهانهم من البداية ، قامت الجمعية بمساحات مهمة تستهدف رفع مستوى المعيشة لمسلمي الهند ، وهي تتعلق : (أ) بالمعاهد التعليمية تحت إشراف وإدارة المسلمين ، و (ب) المدارس الدينية، و (ج) الحالة الاجتماعية التعليمية العامة للجالية المسلمة ، تتكفل الجمعية "مركزاً لدراسات آسيا الجنوبية" (Centre for South Asian Studies) ، ومركزاً لدراسات الفدرالية" (Centre for Federal Studies) ، وتدير الجمعية مدرسة للبنات في دلهي القديمة باسم "مدرسة رابعة العامة للبنات" (Rabia Girls Public School) ، و "مدرسة همدرد الابتدائية" (Hamadard Primary School) في حرم جامعة همدرد .

"جامعة همدرد" هي وحيدة فريدة لا مثيل لها في التاريخ الهندي بأن رجلاً واحداً وحيداً أسس جامعة كاملة بمساعيه الخاصة ، و جهوده الجبارة المضنية ، وكذلك شركته الصيدلة الهائلة منفردة لا نظير لها في التاريخ الإسلامي التي تحولت من مؤسسة تجارية كبيرة إلى "وقف خيري" .

وأما المكتبة المركزية في جامعة همدرد فتشتمل على مكتبة شامخة للمعهد الهندي للدراسات الإسلامية التي تملك مجموعة كبيرة من الكتب الإسلامية في اثنتي عشرة لغة ، وأكثر من ستة آلاف مخطوطة وعشرين ألف من الكتب النادرة ، وتم تأسيس "الكلية ا الإسلامية والعلوم الإنسانية" في عام ١٩٦٣م في منطقة "همدرد نغر" في عمارة شامخة ذات الطوابق الستة ، وفي وسطها قبة مزينة مزخرفة بالزجاجات اللونة وبكتابات أسماء الله تعالى الحسنى ، بقلم الخطاط الباكستاني -- صادقين -- المشهور في القرن العشرين ، تنعش الكلية الدراسة الثقافية والحضارة الإسلامية مع تنمية الصلات بين العلماء والمعاهد المشتغلة بالدراسات الإسلامية في الأقطار المختلفة وتوفر التسهيلات للأبحاث حول التأثير الإسلامي في الهند وخدمات الهند نحو الدراسات الإسلامية .

"كلية العلوم" (Faculty of Science) فريدة من نوعها في القارة الآسيوية ومركز البحث العلمي من الطراز الأول الذي تتمتع بالمساهمات العلمية ،

والاعترافات الدولية بخدماتها في سائر أنحاء العالم ، وإن متحف الكلية يقدم مخططة كاملة في العلوم الطبية من عهد ما قبل التاريخ إلى عصرنا الجديد ، ويمكن مشاهدة ألوفٍ من الصور ، والوثائق والمستندات وآلات الجراحة والخرائط في البانورامة الشامخة التي تعرض نشوء الطب ورقيه عبر العصور .

والجامعة تشتمل ، ما عدا كلية العلوم وكلية الدراسات الإسلامية ، على كلية الممرضات ، وكلية الصيدلة ، وكلية الأدوية ، وكلية الدراسات الإدارية ، والإعلام التكنالوجي وغيرها من الكليات المهمة ، أسس حكيم عبد الحميد من أرباح مؤسسته التجارية عديداً من الهيئات التعليمية والتربوية والثقافية والعلمية والأدبية التي نذكر موجزها أدناه :

١- المؤتمر الطبي اليوناني لعموم الهند ١٩٥٣م .
٢- مؤسسة همدرد الوطنية ١٩٦٢م .
٣- معهد تاريخ الأدوية والبحث الطبي ١٩٦٢م .
٤- المعهد الهندي للدراسات الإسلامية ١٩٦٣م .
٥- كلية الطب السيفية الحميدية ١٩٦٣م .
٦- عيادة همدرد للبحث ومركز التمريض ١٩٦٥م .
٧- غالب إكاديمي ١٩٦٩م .
٨- كلية همدرد الصيدلة ١٩٧٢م .
٩- كلية همدرد الطبية ١٩٧٣م .
١٠- مكتب توفير التسهيلات للتوظيف والتجارة ١٩٧٣م .
١١- مدرسة رابعة العامة للبنات ١٩٧٣م .
١٢- مركز للدراسات القانونية الاجتماعية العالية ١٩٨٠م .
١٣- جمعية همدرد التعليمية ١٩٨١م .
١٤- مدرسة همدرد الابتدائية ١٩٨١م .
١٥- مستشفى مجيدية ١٩٨٢م .
١٦- مدرسة رفيدة للممرضات ١٩٨٤م .
١٧- مشروع المصطلحات الفنية والبحث ١٩٨٩م .
١٨- جامعة همدرد ١٩٨٩م .
١٩- مشروع الوضع التعليمي المنزلي في المناطق المنتخبة بالهند ١٩٩٠م .
٢٠- مركز لدراسات آسيا الجنوبية ١٩٩٠م .
٢١- معهد همدرد للبحث التاريخي ١٩٩٠م
٢٢- مركز للدراسات الفدرالية ١٩٩١م .
٢٣- دائرة همدرد الدراسية ١٩٩٢م .
٢٤- مدرسة همدرد العامة ١٩٩٣م .
٢٥- أرشيف همدرد ومركز للأبحاث ١٩٩٣م .

الجدير بالذكر بأن بعض هذه المعاهد المذكورة قد انضمت إلى جامعة همدرد بعد تأسيسها في عام ١٩٨٩م ، وصارت كليات الجامعة وجزءاً منها .

ومن مآثر حكيم عبد الحميد الخالدة هو تجهيز نسخة منقحة للتأليف المشهور ، "القانون في الطب" للمؤلف المسلم "ابن سيناء" (أبو علي الحسين بن عبد الله) الذي يشتمل على خمس مجلدات ، قد تم طبع الكتاب المذكور في اللغة العربية ، ثم بعد ذلك بدأ طبع ترجمة نفس الكتاب في اللغة الإنجليزية ، والحمد لله قد تمت ترجمة ثلاث أجزاء حتى الآن ، لا تزال خدماته المتواصلة للإسلام ، والطب العربي الإسلامي والتعليم والأدب والفنون التي تتابع نشاطاتها في عمارات شامخة في منطقة همدرد نغر في دلهي الجنوبية سوف تفيد الأجيال القادمة إلى مئات السنين كما نستفيد من خدماتها اليوم ، وقد صحافي من الإمارات العربية المتحدة "أبو ظبي" زار هذه المعاهد العلمية والمعاهد الأخرى في الهند في عام ١٩٧٨م/١٣٩٨هـ ، كتب في مجلة : "منار الإسلام" بأن المعاهد الوحيدة التي أسست في الهند بعد عام ١٩٤٧م للنهوض بالمسلمين هي المعاهد التي أسسها الحكيم عبد الحميد ليس غير .

في الواقع كان حكيم عبد الحميد بطلاً عظيماً وقف أملاكه الخاصة في سبيل الإسلام ومصالح مسلمي الهند ولخدمة الإنسانية تزيد قيمتها على آلاف والملايين من الدولارات ، ولم يترك لنفسه شيئاً ، ولم يرد أي ربح أو جاه مقابل هذا العمل النبيل ، وصار أميناً فقط لهذه الأملاك وأرباحها التي ينفقها للإسلام والمسلمين ولخدمة الإنسانية جمعاء ، وقد لا تجد في العالم الإسلامي في هذا العصر مثيلاً له بعد انقسام الهند في عام ١٩٤٧م بحيث إن رجلاً وحيداً حقق هدفاً ضخماً لم يسبق له نظير في تاريخ التقدم الحضاري لدى المسلمين .

وقد أصيب العالم خلال كتابة هذه الأسطر المذكورة أعلاه بحادث وفاة حكيم عبد الحميد الأليم الفاجع الذي أدمع العيون ، وأحزن القلوب ، وأقض المضاجع ، فهو حادث مأساوي عالمي دولي خسر به المسلمون ، والشعب الهندي ، والعالم الإنساني خسارة لن تعوض :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ☆ و لكنه بنيان قوم تهدما

فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ، وذلك في ليلة الخميس في ٢٢/يوليو (تموز) ١٩٩٩م ، وقد ناهز اثنين

وتسعين (٩٢) عاماً من عمره قضى كله في خدمة الطب والمعالجة ، وإنهاض العلم والثقافة والتربية وتنمية القدرات والكفاءات ، واستغلال الطاقات ، وإتاحة الفرص لكل من يرغب العمل ، ويريد الشغل بدون تمييز بين الديانات والمذاهب والشعوب والأجناس والأقوام والأمم اللهم إلا المسلمين الذين تخلفوا وانحطوا تعليمياً وثقافياً واقتصادياً إثر تقسيم البلاد الذي كان كارثة عظيمة ومأساة أليمة ، ففتح لهم مجالات واسعة للنهوض والتقدم ، ولم الشعث ونفض الغبر ، وليستفيدوا صلاحهم ويقوموا بخدمة البلاد والوطن والشعب من جديد ، وأنشأ مدينة جامعية كاملة شاملة عمرت فيها مباني ضخمة شامخة رفيعة عالية تناطح السحاب ، وتواكب بثرواتها العلمية والأدبية والإسلامية والطبية العصر الحضاري المتمدن الراقي المتنور المتطور ، خلف وراءه صرحاً فخماً يحتوي الكليات والمعاهد ومراكز للبحوث العلمية والطبية كما ذكرنا فيما سبق .

وترك ذرية وأخلافاً نأمل أن يكونوا خير خلف لخير سلف ، هما نجلان كريمان عبد المعيد ، وحماد وزملاء وأصحاب عايشوه وعاشروه وتعلموا منه وتربوا بين أحضانه ، وتلاميذ تخرجوا في مدرسته وكلهم أكفاء بإذن الله ، يقدرون الظروف ، ويدركون معاني وأهداف الفقيد الغالي ، والراحل الحكيم عبد الحميد رحمه الله ، وسيسيرون قدماً على خططه ومناهجه ، وينفذون مشاريعه وطموحه ومتطلعاته ، ويوفون مطالب الأمة ، وأماني الشعب وأحلامهم الإنسانية في ضوء من تجارب الفقيد رحمه الله ، ويسيرون على دربه أوفياء مخلصين ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

رحم الله الفقيد رحمةً واسعةً ، وأمطر شآبيب رضوانه على مثواه الأخير .

☆☆☆

رحيل فضيلة الشيخ محمد معين الندوي

إلى دار البقاء و الخلود ..

سعيد الأعظمي

فجعت أوساط ندوة العلماء ومدارسها وعلمائها (وعلى رأسهم سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، رئيس ندوة العلماء العام) ، بنبأ وفاة فضيلة الشيخ محمد معين الندوي ، نائب الرئيس العام الأسبق ، ومساعد سماحة العلامة الندوي ، وساعده الأيمن في كثير من مهام الأمور والمشاريع ، فكان من أخلص أصحابه وأقربهم إليه ، يلازمه في السفر والحضر ، ويهتم به دائماً ، فقد وفق إلى إنجاز جلائل الأعمال والمشروعات بإشراف سماحته في نَدوة العلماء وخارجها بما يلائم فكرة ندوة العلماء ، وينسجم مع أهدافها الغالية .

استأثرت به رحمة الله تعالى في وطنه "إندور" ، بالولاية المتوسطة في الهند ، بعد معاناة من المرض دامت عليه إلى أكثر من سنتين ، فقد كان طريح الفراش منذ أن أصيب بانكسار عظم الورك ، الذي منعه عن المشي والحركة ، ولكنه كان يؤدي وظيفته مع ذلك قدر المستطاع ، وظل دائم الصلة بسماحة العلامة الندوي والمسئولين عن جهات عمله في الندوة حتى آخر لحظة من حياته ، وكانت الأمور كلها تسير في مسارها الطبيعي ، وما كان يُخشى عليه أن يفارقنا فجاءة من غير أن تبدو عليه أمارات تشير إلى هذه المفاجأة ، ولكنه لبي نداء ربه في أفضل ساعة من ساعات آخر الليل وقت التهجد الذي كان يواظب عليه منذ نعومة أظفاره ، وذلك صباح الاثنين ١٠/من شهر جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (الموافق ٢٣/أغسطس ١٩٩٩م) ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من أبناء ندوة العلماء الذين تخرجوا في الأربعينات من القرن الميلادي ، وكان من أحب تلاميذ سماحة العلامة الندوي ، فلم يرض أن يفارقه بعد إتمام دراسته ولازم جماعة الدعوة والتبليغ بتوجيه منه ، واستفاد من كبار دعاة الجماعة وعلمائها وعلى رأسهم الداعية الملهم الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله ، مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ ، ولما عزم سماحة العلامة الندوي على القيام برحلة دعوية إلى الربوع المقدسة والدول العربية في عام ١٩٥٠م ، كان المرحوم رفيقه الخاص فيها ، وسافر معه إلى مصر والسودان ، وربوع الشام في عام ١٩٥١م ، ولما عاد سماحته بعد إنهاء السفر إلى مقره في لكناؤ وندوة العلماء عيّنه أستاذاً ومربياً للطلاب في دار العلوم ندوة العلماء، فقام بهذه المسئولية بإخلاص وأمانة ، ولكنه نُقل منها إلى إدارة التعمير وتنظيم المالية لندوة العلماء ، نظراً إلى الظروف التي كانت تتطلب ذلك حينئذ ، فوضع خطة عملية لتحقيق هذا الغرض ، وأقبل على توسعة البنايات اللازمة من مساكن الطلاب ، والمسجد ، وإنشاء مبان جديدة للأقسام الإدارية والفصول الدراسية .

وانطلاقاً من توجيهات سماحة العلامة الندوي رسم خطة لفتح المدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده ، وإنشاء كتاتيب ابتدائية في الأرياف والقرى ، ومدارس متوسطة وثانوية على المنهج الدراسي لندوة العلماء في جميع أنحاء الهند وخارجها ، وكان ذلك بداية لفتح الفروع والمدارس الملحقة بدار العلوم ندوة العلماء ، التي يبلغ عددها اليوم إلى مئات ، وتوجد في معظم الولايات الهندية ، وفي "ماليزيا" و "نيبال" ، و "بنغلاديش" و "أوربا" .

كان شديد الحرص على إيجاد جو ديني دعوي خالص في المدارس الإسلامية كلها ، وذلك بالخروج في سبيل الله للعمل الدعوي والتربوي على غرار جماعة التبليغ والدعوة ، فكان يحث الناس على ذلك ، ويشير على جميع

من كان يلمس فيهم رغبة إلى الخير والصلاح أن يتصلوا بالعلماء المربين ، ويلازموهم للحصول على روح من الورع والإخلاص ، لكي تتقوى علاقتهم بالله تبارك وتعالى ، وطالما كان يحض طلبة العلم والعلماء على الاستفادة من سماحة العلامة الندوي ، ومجالسه التوجيهية ، و توجهاته العلمية والدينية وشخصيته الجامعة المتزنة .

شغل في الأخير منصب نائب الرئيس لندوة العلماء إلى مدة لا بأس بها ، فكان يؤدي هذه الوظيفة بإخلاص وعناية تامة ، ولقد كتب الله سبحانه أن يتسع نطاق خدمات ندوة العلماء وفكرتها إلى آفاق بعيدة ، وتتضاعف الإقبال عليها ، وعلى مناهجها التعليمية والتربوية ، وكان في عهده الأخير يقوم بهذه الوظيفة الجليلة متطوعاً دون أن يقبل مقابلها أي مرتب أو أجرة ، وفي أيامه الأخيرة ، وقبل الوفاة بثلاثة أشهر أحب أن يتنازل عن عمله ، نظراً إلى طول المرض والعجز الذي لحقه ، فانتقلت نيابة الرئيس العام لندوة العلماء إلى صاحب السعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، بقرار من المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، وبالمرتب الخاص الذي يتقاضاه صاحب هذا المنصب ، ولكنه أبي إلا أن يبقى على مرتبه السابق ، ورفض أيّ زيادة فيه ، فجزاه الله تعالى كل خير ، وتقبل منه ما يقوم به من الأعمال الجليلة في صالح ندوة العلماء ليل نهار ، بدافع من التطوع والإخلاص .

رحم الله تعالى الفقيد الغالي رحمة واسعة وشمله بالمغفرة والرضاء ، ويجزل مثوبته في الآخرة ، ويكرمه بالجنة والنعيم ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، ويجعله ممن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

☆☆☆

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ مناع القطان
في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الشيخ مناع القطان يوم الأحد ٢٥/من شهر يوليو ١٩٩٩م عقب نوبة قلبية ، كانت نتيجة هبوط كبير في الدورة الدموية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ورغم أن الفقيد كان يعاني من سرطان الكبد منذ عدة سنوات إلا أنه كان يشتغل بالتعليم والتربية والتأليف والكتابة في انهماك وشغف ، ولم يتوقف عن العمل و النشاط إلا في اللحظات الأخيرة من عمره فقط ، فكان أحد كبار العلماء ، و رواد العلم في هذا العصر ، و شارك كثيراً من الأنشطة العلمية والدعوية ، وضرب مثالاً رائعاً لطلبة العلم في الجمع بين العلم والعمل ، والدعوة والتربية ، وجاهد ضد الاستعمار الإنجليزي في عام ١٩٤٦م مع الإخوان المسلمين ، وكان له نصيب أوفر في حركة الجهاد في فلسطين عام ١٩٤٨م ، فتعرض للسجن ، ولكن ذلك لم يوهن عزيمته ، وإنما شارك حركة المقاومة السرية ضد الإنجليز في منطقة القناة بمصر بعد خروجه من السجن عام ١٩٥١م.

ثم قُدر له أن يعمل مدرساً في مصر ، وينتقل بعد ذلك للتدريس في المعاهد العلمية في المملكة العربية السعودية ، وفي كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، فكان مدرساً ناجحاً ومربياً عظيماً ، وبارعاً في إدارة الأعمال الإسلامية ، والأنشطة الدينية والعلمية ، وعَقْد المؤتمرات الإسلامية والقضائية ، كما قد وُفق إلى تأليف كتب جليلة في الموضوعات الإسلامية ، و قد كان له شغف عظيم بتفسير القرآن الكريم و علومه ، فكتابه : "مباحث في علوم القرآن" خير شاهد بذلك ، ومن أشهر مؤلفاته : "نظام الأسرة في الإسلام" ، و "تفسير آيات الأحكام" .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه على ما قام به من خدمات مخلصة للإسلام ، وما أنجزه من جلائل الأعمال ، وأكرمه بالجنة والنعيم .

فضيلة الشيخ عطية محمد سالم
في ذمة الله تعالى

أما فضيلة الشيخ عطية محمد سالم فإنه سارع إلى رحمة الله تعالى قبل أخيه الشيخ مناع القطاع رحمه الله بأسبوع ، وانتقل إلى الدار الآخرة بعد ما وفقه الله

سبحانه إلى إنجاز أعمال جليلة ، وخدمات كبيرة في مجال التعليم والتربية ، والدعوة والقضاء في المدينة المنورة ، فكان من كبار معلمي المسجد النبوي الشريف ، يلقى دروساً في العلم والدين باستمرار ومن غير توان ، كان يتميز بالرسوخ في العلوم الإسلامية ، وبالتبحر في الفقه والتفسير ، وكل من زار المدينة ، وصلى في الحرم النبوي سوف لا ينسى ذلك الصوت الجميل الذي كانت ترتج به جوانب المسجد الشريف ، وكانت حلقة دروسه من أعظم وأوسع الحلقات فيه ، توفي رحمه الله عن عمر يناهز ٧٤/سنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان -- رحمه الله -- بجوار عمله هذا قاضياً في المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة ، ومدرساً في كلية الشريعة ، وشغل منصب عمادة شئون التعليم والتدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، بعد ما أنشئت في عام ١٩٦٠م .

لقد رزقه الله تعالى قبولاً عاماً في جميع الأوساط ، وأكرمه بالتوفيق والتواضع ، ودوافع الخدمة في جميع المجالات العلمية والدينية والتربوية والدعوية ، فكان مثالاً فذاً بين جماعة العلماء المخلصين ، جامعاً لصفات الإخلاص ، والتضحية والجهاد والاجتهاد .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ومغفرته ، وتقبل أعماله الجليلة التي قام بها في سبيل نشر العلم ، وإفادة المسلمين بالمفهوم الصحيح للدين ، وترسيخ العقيدة الصحيحة السليمة في أذهان الناس من خلال دروسه ، ومواعظه التي ألقاها في المسجد النبوي الشريف إلى مدة طويلة .

☆☆☆

الشيخ إنعام الله اللكنوي
إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى في ٩/من شهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ/الموافق ٢٤/من شهر يونيو ١٩٩٩م أحد رجال الدعوة والتبليغ والعاملين المخلصين في سبيل الله ، وهو الشيخ إنعام الله الذي تلقى دروس التزكية في مدرسة المربي الجليل العلامة الشهير الشيخ عبد القادر الرائ فوري ، المتوفى عام ١٩٦٢م(١٣٨٢هـ) ، وقضى عنده وقتاً طيباً يستفيد من توجيهاته ، ويتربى على خلال الإحسان والإخلاص لله تعالى ، وقد شغل وقته بالخروج في سبيل الله مع جماعة الدعوة والتبليغ ، والاستفادة

من كبار علماء الجماعة ودعاتها ، وكانت علاقته مع سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وطيدة مخلصة ، وكان قد نذر حياته لأعمال الدعوة والتبليغ ، ومن خلال ذلك كان يسافر إلى الربوع المقدسة في موسم الحج من عدة سنوات متتابعة ، وقد حضر الموسم في هذا العام مع رفقة من رجال الدعوة ، ومنذ عودته ألمّ به الضعف والنقاهة ، حتى لازم الفراش ، ورغم اتخاذ التدابير اللازمة للعلاج ، لم يكتب له البرء ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى عن عمر يناهز ٧٢/عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ كل شئ هالك إلا وجهه * له الحكم وإليه ترجعون ﴾

☆☆☆

السيدة حرم الشيخ محمد الثاني
في ذمة الله تعالى

فوجئت أسرة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بوفاة السيدة الزكية حرم الشيخ محمد الثاني الحسني رحمه الله ، ابن أخت سماحة العلامة الندوي ، وشقيق سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، والأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، في ٣/من شهر أغسطس ١٩٩٩م /الموافق ٢٠/من شهر ربيع الثاني ١٤٢٠هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الفقيدة ابنة العلامة فضيلة الدكتور السيد عبد العلي الحسني الشقيق الأكبر لسماحة العلامة الندوي ، وكانت ثالثة الأخوات الخمس ، ذات علم وفضل وأخلاق و ورع ، كان الله سبحانه وتعالى أكرمها بميزة الجمع بين العلم والعمل والأسلوب الخاص بالتربية والتوجيه ، وخاصة في المجتمع النسوي الذي طالما يحتاج إلى العناية بالتربية والإصلاح .

نجلها الوقور الأستاذ حمزة بن محمد الثاني الحسني (رحمه الله) الذي يشغل منصب المشرف الإداري في الرئاسة العامة لندوة العلماء .

تغمدها الله بواسع رحمته ، وأكرم نزلها في الجنة والنعيم ، وألهم جميع أصحاب الأسرة وذويها الصبر والسلوان .

☆☆☆

MAJALLAH Regd. No. LW/NP 59
al: 372336-323864
AL - BAAS - EL- ISLAMI
Oct. - 1999
(MONTHLY)

صدر حديثاً :

١- الإفادات القرآنية

لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

جمع فيها الأستاذ ر. أحمد الندوي

كتابات العلامة الندوي ، التي جاءت حول الإفادات القرآنية خلال مؤلفاته ، ورتبها ترتيباً فنياً جيداً ، مع تصنيف الأبواب والفصول ، والكتاب حقيق بالاستفادة والإفادة ، وهو باللغة الأردوية ،

نشرها : الوقف الإسلامي للشيخ محمد الحسني (رحمه الله) ، دارة الشيخ علم الله ، رائ بريلي (الهند)

٢- الأمة المسلمة

صدر هذا الكتاب بقلم/سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

(نائب الرئيس العام لندوة العلماء)

تحدث فيه عن مكانة الأمة المسلمة ومسئوليتها وخصائصها ، وقام بالموازنة بين ماضيها وحاضرها ، وتحدث فيه عن موقف الإسلام من الفكر الغربي ، والأخطار التي تحدق به ، وعن مواضع الضعف في المجتمع المسلم وعلاجها ،

الكتاب باللغة الأردوية ، ويجدر بأن ينقل إلى اللغة العربية .

ناشر :

المجمع الإسلامي العلمي ، ص.ب ١١٩ لكناؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ
من مؤسسة الصحافة والنشر . ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الاعظمى

المكتبة العامة لندوة العلماء
« مكتبة العلامة شبلي النعماني »
ندوة العلماء - لكهنؤ، الهند

نام مصنف	نام کتاب	نمبر ۱۹۳ / ۱۲۸۱۲۳
سید ابو الاعظمی الندوی	البعث الاسلامی جلد ۴۴ شمارہ ۱ تا دس نومبر ۱۹۹۸ء تا اکتوبر ۱۹۹۹ء	فن جرائد
دستخط		